مجلة الإسلام والتصوف

السنة الثالثة العدد الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثامن « السنة الثالثة » ١٤ من رجب عام ١٣٨٠ هـ — ١ يناير ١٩٦١ م

أعياد المجد والبناء

عيد العلم ، وعيد النصر ، وعيد السلام

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

عاشت الجمهورية العربية في شهر ديسمبر أياماً خالدة مضيئة ، عاشت أعياداً ثلاثة ، لكل عيد منها مكانته وملهاته ، وأثره في إبراز خصائصنا ، وتجلية روحنا ورسالتنا ، ورسم الخطوط العريضة لحياتنا ونهضتنا .

عاشت الجمهورية العربية مع عيد العلم ، ذلك العيد الذي جاءت به إلينا الثورة البناءة ، وجعلت منه نقطة تحول وانطلاق في حياتنا ، وفي تفكيرنا واتجاهاتنا .

وفي أكبر قاعة من قاعات جامعاتنا ، وقف الزعيم الثائر الرئيس جمال عبد الناصر ، يكرم العلم والعلماء ، ويعلي من شأن الفنانين والأدباء ، ويضع بيده القوية الصانعة

أوسمة المجد والفخر ، على الصدور الواعية الفاهمة ، صدور الطليعة المفكرة التى جعلت من علمها ومن فنها ومن ثقافتها ، دليلا لأمتها ، ومعراجاً لشعبها ، يصعد عليه إلى آفاق القوة والعزة والحياة المتطورة النامية .

وفى أكبر قاعة من قاعات جامعاتنا ، وقف الزعيم الثائر ، ليسمع الدنيا بصوته المدوى ، أن أمة العرب قد حطمت قيودها ، وتحررت من أغلالها ، وانطلقت حرة كريمة ، حرة فى تفكيرها ، حرة فى ثقافتها ، حرة فى أرضها وسمائها ومواردها ، تبنى حياتها على العلم ، وتفجر طاقاته ، وتستغل قواه ومبتكراته ، فى تشييد صروح مجدها ، ودروع بأسها ، ومعامل بحثها ، ودور صناعتها ، حتى تتيح حياة سعيدة هنيئة لشعبها ، حياة ترتكز على العدالة الاقتصادية ، ارتكازها على العدالة السياسية .

إن الحياة اليوم يصوغها ويطورها العلم ، وأمجاد الشعوب وقوتها توزن بما تملك من علم ، وبما لديها من علماء وخبراء .

لقد كنا كما يقول زعيمنا الكبير : أبناء للحرية ، فقدونا اليوم آباء لها .

إننا قاعدة لهذه الحرية ، قاعدة تنطلق منها القوى الحرة التى تساند الحرية وتكافح معها ، حتى تنال الشعوب كافة حريتها ، وبذلك تنتفى من وجه الإنسانية تلك الجروح البشعة القاتلة ، التى أصاب بها الاستعمار ضمير البشرية وقلبها ، باستعماره وإذلاله لأرضها وشعوبها .

إن لعيد العلم إلهامه وروحه ، ومن إلهامه اننا شعب قد تطور فى تفكيره ومنهجه ونظرته للحياة ، شعب آمن بمقومات الحضارة ومسبباتها ، شعب آمن بالعلم ورسالته ، فاتخذه منهجاً وصراطا .

ومن روحه أننا أمة قد شبت وكبرت ونمت وتخلت عن التفكير البدائى الرجعى ، فأصبح التكريم والإجلال للعلم وأهله ، لا للنسب والجاه ومظاهر الحياة ، وأصبحت جوائز الدولة ، للمفكرين والفنانين والمبدعين ، لا للمحاسيب والأنصار والمرتزقة والتافهين .

وعاشت الجمهورية العربية ، أروع أيامها ، وأخلد أمجادها ، عاشت عيد النصر الأكبر :

عيدنا العظيم المضيء ، نحن الشعب العربي الذى حطم الاستعمار ودمر أكبر حملة استعمارية فى القرن العشرين ، نحن الشعب العربي الذى مزق العدوان الثلاثى ، وأذل كبرياء المستعمرين العالميين ، لقد حطمنا الكبرياء الأسطورى لبريطانيا وفرنسا .

وبهذا التحطيم الخالد ، زال من قلب العالم الشرقى ، الوهم الذى عاش فيه طويلا ، وهم الرعب من قوى الغرب ، وقوى امبراطورياته الكبرى ، التى لا تقهر ولا تذل ، ولا يتحطم لها سيف ، ولا ينهزم لها جيش .

وبهذا التحطيم وبالهامه تحررت الشعوب المستضعفة فى آسيا وأفريقيا ، وبزغت القوى النامية الحرة فى آسيا وأفريقيا .

لقد غير جمال عبد الناصر مجرى التاريخ ، بوقفته الصلبة القوية الشامخة فى وجه العدوان الثلاثى .

حطم جمال سيف الاستعمار وقيوده ، وطلق شعاع الحرية وضاءاً وهاجا ، وعلى سناه انطلقت الشعوب فى آسيا وأفريقيا تتحرر وتسترد إيمانها بحقها ، وثقتها بنفسها .

إن عيد النصر فى بورسعيد الذى قاده البطل جمال عبد الناصر لهو عيد الإنسانية ، عيد الحرية العالمية ، عيد التحول التاريخى ، من عصر الاستعمار والاستعباد ، إلى عصر الحرية والانطلاق .

إن بورسعيد لترتفع شامخة ، كعلامة خالدة ، فى جبين التاريخ الإنسانى ، يتغنى بها الأبطال ، ويترنم بها الأحرار فى كل زمان ومكان ، كنقطة فاصلة فى التاريخ العالمى .

وعاشت الجمهورية العربية ، عيد السلام عيد ميلاد المسيح عليه السلام ، الذى جاء برسالة الحب والإخاء والسلام .

تلك هى رسالة المسيح التى علمها للدنيا ، والتى يتنكر لها اليوم المستعمرون والمعتدون والمحتكرون من أتباعه ، فيملؤن الدنيا ظلاماً وخصاماً ، وعداوة وبغضاء .

إن قعقعة السلاح ، وتهاويل الحرب ، وصيحات الاستعمار ، لتتوارى خزيا وعارا فى يوم ميلادك العظيم ، يا رسول الحب والسلام .

— • —

لقد جحدوا رسالتك ، وتنكروا لمبادئك ، وخانوا عهدك ، ونبذوا نهجك ، ولكننا اليوم نحمل رسالتك ونبشر بروحها وهداها ، وندعو الدنيا إلى التعاون والحرية والسلام والعدالة .

تلك أعيادنا المضيئة الملهمة فى شهر ديسمبر ، أعياد العلم والنصر والسلام ، وتلك ترنيمات فى ساحتها ، وتحية لشعبنا ولزعيمنا فى أيام أعيادنا ، وضراعة إلى ربنا ، أن يأخذ بقلوب الناس جميعاً إليه وأن يهديهم صراطاً مستقيما ، وأن يمن على الإنسانية بالأمن والسلام .

إنه سبحانه ولى التوفيق ؟

الامام الشعرانى

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

« احتفلت القاهرة فى الأسبوع الماضى
بذكرى الإمام الشعرانى ، وتلك تحية الذكرى ... »

إلى الدوحة العلوية الهاشمية يرتفع نسب الشعرانى ، فجده الأعلى هو محمد بن الحنفية ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

وقد هاجر أجداده إلى المغرب الأقصى فى الموجات المهاجرة من البيت العلوى ، التى اختارت الأطراف النائية من الإمبراطورية الإسلامية فراراً من الملاحم المتتابعة بينهم وبين البيت الأموى تارة ، وبين البيت العباسى تارة أخرى .

وفى المغرب الأقصى استطاع العلويون أن يؤسسوا دولا ، وأن ينشئوا حضارات وأن يظفروا بالحب والتأييد من شعوب الشمال الأفريقى كافة .

وكان الملك فى مدينة « تلمسان » وما جاورها لقبيلة « بنى زغله » وإلى تلك القبيلة ينتسب عبد الوهاب الشعرانى .

ولقد أرخ الشعرانى لنفسه فى كتابه — المنن — فقال :

« احمد الله تعالى حيث جعلنى من أبناء الملوك ، فإنى بحمد الله تعالى ، عبدالوهاب ابن أحمد بن على بن محمد بن زوفا بن الشيخ موسى المكنى فى بلاد البهنسا ، بأبى العمران ، جدى السادس بن السلطان أحمد بن السلطان سعيد بن السلطان فاشين بن السلطان محمد محيا بن السلطان زوفا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الإمام على رضى الله عنه .

وكان جدى السابع هو السلطان احمد سلطانا بمدينة تلمسان فى عصر الشيخ أبى مدين المغربى ولما اجتمع به جدى مومى أحبه الشيخ ورباه فى الطريق ثم أمره بالسفر إلى صعيد مصر ، وقاله له : اسكن بناحية — هو — فإن بها قبرك فكان الأمر كما قال » .

واستقر الشيخ مومى أبو عمران ببلدة — هو — من أعمال مديرية قنا حيث توفى عام ٧٠٧ هـ ؟ بعد أن نجحت بها دعوته الصوفية ، واهتدى بهديها جمهور ضخم فى الصعيد الأعلى .

واستمرت أسرة الشعرانى بالصعيد تحمل لواء العلم والولاية ، حتى مطلع القرن التاسع الهجرى ، فهاجر حميدها أحمد إلى ساقية أبى شعره بالمنوفية ، وأسس بها زاوية للعلم والعباده .

ثم جاء إلى بيت الكريم أعظم ابنائه فولد عبد الوهاب الشعرانى على أصح الروايات وأشهرها فى يوم ٢٧ من شهر رمضان عام ٨٩٨ هـ ببلدة — قلقشنده — وهى قرية جده لأمه ، ثم انتقل بعد أربعين يوما من مولده إلى قرية أبيه — ساقية أبى شعره — وإليها انتسب فلقب «بالشعرانى» وعرف بهذا اللقب واشتهر به ، وإن كان هو قد سمى نفسه فى بعض مؤلفاته بالشعراوى .

ويقص علينا الشعرانى تاريخ حضوره إلى القاهرة بذلك الأسلوب الأخاذ الصادق فيقول :

« وكان مجيئى إلى القاهرة افتتاح سنة عشرة وتسعمائة وعمرى إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ، فأقمت فى جامع سيدى أبو العباس الغمرى ، وحفن الله على شيخ الجامع وأولاده فأقمت عندهم حتى حفظت فنون الكتب الشرعية وآلاتها على الأشياخ »

ثم يقول : « ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع فى المعاصى معتقداً عند الناس ، يعرضون على كثيرا من الذهب والفضة والثياب ، فتارة أردها ، وتارة أطراحها فى صحن الجامع فيلتقطها المجاورون » .

ولبث الشعرانى فى مسجد الغمرى يعلم ويتعلم ، ويتهجد ويتعبد ، سبعة عشرة عاما ، ثم انتقل إلى مسجد مدرسة أم خوند ، وفى تلك المدرسة بزغ نجم الشعرانى

وتألق تألقا ملأ الدنيا حوله صياحا ، صياحا امتزج فيه هتاف الاعجاب من محبيه بعاصفة الانتقاد من حساده وشانئيه .

ويحدثنا الشعرانى عن منهجه فى الدراسة والعلم وبداية تلمسه للمنهج الصوفى فيقول :

« ثم لما جئت إلى مصر حفظت كتاب المنهاج للنووى ، ثم ألفية أبن مالك ثم التوضيح لابن هشام ، ثم جمع الجوامع ، ثم الفية العراقى ، ثم تلخيص المفتاح ، ثم الشاطبية ، ثم قواعد ابن هشام وغير ذلك من المختصرات .

ثم ارتفعت الهمة إلى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة لكونه اجمع كتاب فى مذهب الشافعى ، فحفظت منه إلى باب القضاء على الغائب وهو فى آخر الكتاب ، فلقينى بعض أرباب الأحوال بباب الخلق خارج باب زويلة فقال لى مكاشفا : قف على باب القضاء على الغائب ، ولا تقض على غائب بشىء .

فما قدرت بعد ذلك على حفظ شىء منه ، لكنى طالعت الكتاب ودرسته نحو مائة مرة ؛ وكنت أقرأ محفوظى للمتن فى الشرح ، وأنظر كل شىء توقفت فى فهمه ، حتى صار شرحه للشيخ زكريا الانصارى عندى نصب عينى .

ثم لقينى الشيخ أحمد البهلول رضى الله عنه فقال لى مكاشفا : أقبل على الاشتغال بالله ويكفيك من العلم ماقد تعلمته ، فشاورت فى ذلك مشايخى فقالوا : لا تدخل طريق القوم إلا بعد شرح محفوظاتك كلها على الأشياخ فإذا فهمتها وتبحرت فيها فعليك بطريق القوم »

ثم يقول : « وقرأت محفوظاتى على شيوخى وهم نحو خمسين شيخا فقرأت على الشيخ أمين الدين شرح المنهاج للجلال المحلى ، وكنت اطالع درس ، القوت للأذرعى ، والقطعة والتكملة للأسنوى والزركشى ، والقطعة للسبكى ، والعمدة لأبن الملقن ، وشرح ابن قاضى شهبه وشرح الروض للشيخ زكريا ، واكتب زوائد هذه الكتب على الشيخ جلال الدين ، وألصق به أوراقا حتى ربما تصير الحواشى أكثر من الكتاب ثم أقرؤها كلها عليه .

وقرأت عليه أيضاً شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين ، وحاشية الشيخ كمال الدين ، وشرح العراقى للجلال الحافظ السخاوى »

ويمضى الشعرانى فى الحديث عن دراسته وشيوخه حتى يذهل القارىء بذلك الفيض الدافق من الكتب التى أحاط بها وألم بدقائقها وأسرارها .

وفى غمرة هذه الدراسات العلمية المتلاحقة المتعددة ، لم ينس الشعرانى رياضاته وعباداته ومجاهداته ، لقد عاش حياته تحت ظلال المساجد متعلماً وعابداً ، لا يخوض فى لغو الحديث ولا يستمع إليه كما يقول ، فوقت الإنسان أضيق من هذا ؟ ويحدثنا الشعرانى عن منهجه التعبدى فيقول :

« . . . وكنت إذا فتحت مجلس الذكر بعد العشاء لا أختمه إلا عند طلوع الفجر ثم أصلى الصبح وأذكر إلى ضحوة النهار ، ثم أصلى الضحى وأذكر حتى يدخل وقت الظهر ، فأصلى الظهر ثم أذكر إلى العصر ومن صلاة العصر إلى المغرب إلى العشاء وهكذا ، فمكثت على ذلك نحو سنة ، وكنت كثيراً ما أصلى بربع القرآن بين المغرب والعشاء ثم اتهجد بباقيه فأختمه قبل الفجر ، وكان نومى غلبه تخطف رأسى خطفة بعد خطفة وخفقه بعد خفقة » :

ثم يعطف الشعرانى على ثمرة هذه المجاهدات فى خلقه وحياته فيقول :

« أنه بلغ مقاماً فى الزهد حتى لو أمطرت السماء ذهباً وصار الناس ينتهبونه لم يجد داعيا إلى أخذ شىء منه إلا لأمر مشروع ، ولو مر على تلال الذهب والفضة من غير مزاحم عليها من أبناء الدنيا ، ولا حساب عليها فى العقبى ، لم يتناول منها دينارا واحداً إلا لضرورة شرعية ، فقد فنى اختياره مع الله . وفقدت أعضاؤه الشهوة للمعصية أو الجاه ، ثم حضوره بقلبه دائماً مع الله . أو كما يقول : ثم حضورى مع الله حال أكلى ومشربى وكأنى فى الصلاة » .

وكانت كل هذه الرياضات والمجاهدات ، بداية للطريق الصوفى المضىء الصاعد ، فللطريق قواعده ومناهجه وأساتذته وشيوخه ، ولابد للمريد من قائد ودليل .

ولما جاء ميقات الشعرانى ليسلك الطريق الخالد ، سلوكا كما اشترط الصوفية ، وكما رسمه العابدون الواصلون ، أشار عليه أحمد البهلول ، صفيه ونجيه بأنه وإن كان قاب قوسين أو أدنى من النور الربانى ، والفتح الإلهى ، إلا أن القمم العالية لا يعبدها ويمهدها إلا الشيخ السالك المدرب الموهوب المأذون له .

واستقر كلام البهلول فى قلبه ، فلما آب إلى منزله ، وانتهى من أوراده وتسبيحاته ، لم يجد قلبه خالصاً ، بل وجد كلام البهلول يراوده ويأخذ عليه مجامع قلبه وخواطر نفسه ، حتى إذا أسلمه الجهد إلى سنة من النوم ، إذ بطيف تقلألأ أجنحته ، ويفوح طيبه وعطره ، يهمس له فى منامه بالإشارة والبشارة .

وإذا بالإشارة والبشارة تتحولان إلى كلام حلو جميل ، لازم قلب الشعرانى طوال حياته .

« إن أردت حياة قلبك الحياة التى لا موت بعدها ، فأخرج عن الركون إلى الخلق ، ومت عن هواك وإرادتك ، فهناك يحييك الله عز وجل حياة لا موت بعدها ، ويغنيك غنى لا فقر بعده ، ويعطيك عطاء لا منع بعده ، ويريحك راحة لا تعب بعدها ، ويعلمك علماً لا جهل بعده ، ويطهرك طهارة لا تدنيس بعدها ، ويرفع قدرك فى قلوب عباده ، فلا تحقر بعدها ، لقد ذهبت أيام المحن ، وجاءت أيام المنن » .

واستيقظ الشعرانى عامر القلب بالأمانى فانطلق إلى شيوخ الطريق يلتمس عندهم طريقة ، ولنترك الشعرانى يحدثنا بحديثه القلبى المضىء عن انتقاله من مقامات العلم والزهد ، إلى مقامات الفتح والصفاء .

« ولقد اجتمعت بخلائق لا تحصى من أهل الطريق ، ألتمس لديهم المفاتيح والأبواب ، فلم يكن لى وديعة عند أحد منهم سوى ثلاثة ، على المرصفى ، ومحمد الشناوى ، وعلى الخواص .

فسلكت على يد الأولين شيئاً يسيراً ، وكان فطامى على يد الخواص .

ومنهم عرفت يقيناً أنه لا بد من شيخ فى الطريق ، كما قال موسى للخضر : « هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا » .

وصلة الخواص بالشعرانى هى آية الآيات على مقام الشيخ فى الطريق ، وهى آية كونية على مقام العلم اللدنى ، فلقد كان الخواص أمياً ، وكان الشعرانى عالما ، ذلك هو حكم الظاهر ، أما حكم الباطن ، فلقد كان الخواص عالما ، وكان الشعرانى أميا ؟

وعلى هذا النهج تصوف الشعرانى ، فكان تصوفه بداية خلوده ، وكان تصوفه

فتحاً ربانياً كما يقولون : لعصره وللعصور المتعاقبة ، فلقد ربى الشعرانى آلافا من المريدين والتلاميذ المعاصرين له ، وجعل منهم مدرسة إيمانية تذكر الله ، وتدعو إلى هداه ، ولا تزال كتبه تربى وتمنح الهدى واليقين للآلاف من التلاميذ والمريدين .

وحسب الشعرانى أن رجال الاستشراق عكفوا على كتبه يستنطقونها ، ويلتمسون أسرارها ، ويقلبونها على أوجه شكوكهم الملحة ، ويعرضونها على موازينهم القاسية ، وخرجوا بعد الشوط الطويل يحنون الهامات أمام العملاق الضخم الشامخ ، ويطلقون القول معترفين فى وضوح وصراحة بأن الشعرانى أعجوبة من أعاجيب العباقرة المتصوفين ، أعجوبة لا يكاد تاريخ الإسلام يعرف لها مثيلا .

يقول المستشرق ـ فولرز ـ : « إن الشعرانى كان من الناحية العلمية والنظرية صوفيا من الطراز الأول ، وكان فى الوقت نفسه كاتباً بارزاً أصيلا فى ميدان الفقه وأصوله ، وكان مصلحا يكاد الإسلام لا يعرف له نظيراً ، وإن كتبه التى تجاوزت السبعين عدا من بينها أربعة وعشرين كتابا يعتبر إبتكاراً أصيلا لم يسبق إليه أبداً ، ولم يعالج فكرتها أحد قبله » .

ويقول العلامة ـ ماكدونالد ـ : « إن الشعرانى كان رجلا درا كا نفاذاً مخلصاً واسع العقل » ويقول فى موضع آخر : « إنه كان يجمع بين أعظم المميزات ، وإنه كان مشرعا ذا أصالة ونفاذ ، وكان عقله من العقول النادرة فى الفقه بعد القرون الثلاثة الأولى فى الإسلام ، وإنه رجل أخلاق تهزه أنفة عالية » .

ويقول المستشرق ـ نيكلسون ـ : « إنه أعظم صوفى عرفه العالم الإسلامى كله وإنه منذ فتح المغول العالم الإسلامى ركدت الحركة الفكرية فى الإسلام واقتصر علماؤه على الجمع والتقليد ، فلا تجد بوادر انطلاق أو إنتاج خصب منتج أو أى أثر لتفكير أصيل وضىء باستثناء شخصيتين شاذتين هما ابن خلدون المؤرخ ، والشعرانى الصوفى ، والشعرانى بالذات مفكرا مبدعا أصيلا ، أثر تأثيراً واسع المدى فى العالم الإسلامى ، يشهد به إلى يومنا إلحاح القراء إلحاحا متواصلا فى طلب مؤلفاته » .

ولقد جاء الشعرانى إلى العالم الإسلامى فى ميقاته ليكون مجدد القرن العاشر جاء كفاء لحاجيات العالم الإسلامى .

جاء مكافحاً مصلحاً ، وزعيماً قائداً ، ومرشداً هادياً ، فتمثلت فيه خصائص تلك الصفات فكان كما لقب : أبا المواهب .

حرر التصوف من الأساطير والبدع ، وجلاه محمدياً قرآنياً ، كما إراده الله لعباده قوة روحية محلقة فى الأفق الأعلى .

وحرر الفقه من جموده وتزمته ، فكان الأصولى الألمعى الذى مزج الفقه بحرارة الإيمان ، فانقذه من الجفوة والجفاف وحببه إلى الجماهير ، يوم جعله لامجرد أحكام شرعية فحسب ، بل حقائق روحية مضيئة ملهمة .

وحرر علم الكلام ـ التوحيد ـ من نزوات المجسدين ، وأهواء المجادلين وأعاده إلى نوره ورونقه الإيمانى الذى عرفه واهتدى به الصدر الأول .

وأنقذ الأمة الإسلامية من الجدل والحوار ، والجرى وراء الأوهام والخيالات وردها إلى النبع الصافى ، والعمل الخالص لوجه الله .

ولم ينسه جهاده الدينى زعامته الشعبية ، فكان المصلح الاجتماعى المدافع عن الفقير والمسكين والضعيف ، القائم فى وجه الولاة والحكام ، يرفع كلمة الحق ، وينتزع حقوق الضعفاء من الأقوياء .

ووقفت الدنيا فى عهده ترقب كلمة من فيه ، أو إشارة من يده ، فهو الملجأ والملاذ للمظلوم ينشد حقا ، والظالم يطلب رحمة ، وهو المرشد الهادى إلى حقائق الإيمان ، ودقائق العقائد ، ومشكلات الفكر والحياة ، وهو الزعيم الحبيب الذى إذا غضب اضطربت لغضبه قلوب الملايين .

وهو بعد هذا وذاك ، مؤرخ التصوف والمتصوفة ، وخليفة الغزالى الأوحد على الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والتعبدية فى الإسلام .

ثم هو فوق ذلك كله رجل الأخوة والإنسانية بأدق معانى تلك الأخوة ، ولهذا كان يشارك بوجدانه بل بكل أحاسيسه المظلومين والمحرومين ، يشقى لشقائهم ، ويتألم لألمهم .

يقول الشعرانى : « إنى لأشعر بشعور المعذبين والمظلومين ، حتى لكأن كل عذاب أو ظلم وقع بأحد من الناس وقع بى » .

كان الشعرانى يرى أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا شارك الناس كافة أحزانهم وآلامهم ، لأن الإنسانية وحدة متماسكة ، خيرها مشترك ، وعذابها مشترك .

يقول الشعرانى : «من ضحك أو استمتع بزوجة ، أو لبس ثوبا مبخراً ، أو ذهب إلى مواضع المتنزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء » .

ويقول متحدثا عن مبادئه : « ثم سترى لعورات الناس وعيوبهم ، ورحمتى بالعصاة حال تلبسهم بالمعصية فإنهم أشقى الناس حينئذ » .

ثم يقول من الأفق الأعلى : « . . . ثم غيرتى على أذنى أن أسمع زورا ، وعينى أن تنظر محرما ، ولسانى أن يتكلم باطلا » .

وتمتد رحمة الشعرانى إلى الحيوان الأعجم ، لأنه ضعيف مسخر للإنسان فيقول : « ثم كثرة شفقتي على دابتى ، وكراهيتى أن أحمل سوطا » .

بل لقد كان الشعرانى يرى أن العبادة لا تصاح إلا بصلاح القلب ، ونقاء الأخلاق ، فكان لا يقوم إلى الصلاة ، إلا إذا فتش قلبه ، هل فيه غل أو حقد أو حسد أو غيبة أو شهوة صغيرة أو كبيرة ، بل كان يستحى أن ينام وفى قلبه شىء من هذا لأن النوم رحلة الروح إلى الملأ الأعلى .

ويستطرد الشعرانى قائلا : « . . . ثم أخذى كل كلام وعظت به الناس فى حق نفسى أولا ، وفى حق الناس ثانياً ، واستغفارى من ذلك ثالثاً ، ثم عفوى العام عن كل مسىء إلى » .

ويسمو الشعرانى فى أدب النفس ، ويرتفع فى معارج الأخلاق إرتفاعا يعز على سواه فيقول :

« . . . ومما أنعم الله به على عدم خروجى من بيتى إلا إذا علمت من نفسى القدرة بإذن الله على هذه الثلاث خصال . . تحمل الأذى عن الناس ، وتحمل الأذى منهم ، وجلب الراحة لهم »

فإذا كملت هذه الثلاث ارتفع الشعرانى درجة بل درجات فوق القمة الشامخة ؛ فيضع — الطليسان — على وجهه ليكف بصره عن فضول الناس :

تلك الكلمات المضيئة الصافية التى تتلألأ بالنبل والشرف ، هى بعض خلق الشعرانى الصوفى ، وإنه لخلق يرفعه درجات ودرجات فوق علمه وزعامته :

صفحات ونفحات

من مذهب ذى النون فى المعرفة والمحبة

بقلم
الدكتور: محمد مصطفى حلمى

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب جامعة القاهرة

سبقت الإشارة إلى أن لذى النون مذهبا تيوزوفيا يدور حول الذات الإلهية وصفاتها ، وأن لهذا المذهب ناحيتين يمكن أن يتناوله الباحث منهما ، وهاتان الناحيتان هما معرفة الذات الإلهية ووحدانيتها من ناحية ، ومحبة الذات الإلهية والاتصال بها من ناحية أخرى ، وها نحن أولاء نعرض لهاتين الناحيتين بيانا للخصائص التيوزوفية والروحية التى ينطوى عليها مذهب ذلك الصوفى المصرى المحقق الذى يعد بحق واضع الحجر الأساسى فى صرح التصوف التيوزوفى الإسلامى .

فالمعرفة عند ذى النون على ضروب ثلاثة : معرفة عامة المؤمنين ، ومعرفة المتكلمين والحكماء ، ومعرفة خواص الأولياء المقربين الذين يعرفون الله بقلوبهم . وليس من شك فى أن هذا الضرب الثالث من المعرفة هو عند ذى النون أرقى وأسمى ضروبها جميعا ، وذلك لأنها تتخذ موضوعها من الذات الإلهية وما لهذه الذات من صفات الوحدانية ، وهى لا تحصل عن طريق الكسب والتعلم والتصور والاستدلال ، وإنما هى إلهام ونفث فى الروع ونور يقذفه الله فى سر العبد فيعرف العبد الله معرفة مباشرة لا واسطة فيها وبيقينية لا شك يعتريها . ويدل على ذلك ما أجاب به ذو النون وقد سئل بم عرف العارفون ربهم ؟ فقال ما نصه : « إن كان بشىء فبقطع الطمع والإشراف منهم على

اليأس مع التمسك منهم بالأحوال التى أقامهم عليها ، وبذل المجهود من أنفسهم ، ثم إنهم وصلوا بعد إلى الله بالله » ، ويدل عليه أيضا ما أجاب به وقد سئل بم عرفت ربك ؟ فقال : « عرفت ربى بربى ، ولولا ربى ما عرفت ربى » . هـذا فيما يتعلق بمعرفة الله ، أما فيما يتعلق بالمعرفة عامة فإن ذا النون يرى أنها تنال بأشياء ثلاثة : بالنظر فى الأمور كيف دبرها ، وفى القادير كيف قدرها ، وفى الخلائق كيف خلقها .

وإذا كانت معرفة الإنسان للذات الإلهية معرفة إلهامية على هذا الوجه الذى لا يدانيها فيه أى ضرب من ضروب المعرفة الأخرى سواء من حيث الموضـوع والمنهج ، فقد ترتب على ذلك أنه بغير هذه المعرفة الإلهامية المباشرة لا يمكن أن تعرف الذات الإلهية إلا من طريق صفات السلوب ، إذ أن الذات الإلهية ليس كمثلها شىء مما يتصوره وهم الإنسان . وهذا يعنى بعبارة أخرى أن الذات الإلهية قد تفردت عند ذى النون بالوحدانية ، كما يعنى أن نظريته فى المعرفة متصلة اتصالا وثيقا بنظريته فى التوحيد : فمنده أن قدرة الله فى الأشياء بلا مزاج ، وأنه ليس فى السموات العلى ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله . وليس أدل على هذا مما يناجى به ذو النون ربه فيقول : «إلهى ، ما أصغى إلى صوت حيوان ، ولا حفيف شجر ، ولا خرير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ولا قعقعة رعد ، إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك ، دالة على أنه ليس كمثلك شىء . . . إلهى لا تترك بينى وبين أقصى مرادك حجابا إلا هتكته ، ولا حاجزا إلا رفعته ، ولا وعرا إلا سهلته ، ولا بابا إلا فتحته ، حتى تقيم قلبى بين ضياء معرفتك ، وتذيقنى طعم محبتك ، وتبرد بالرضى منك فؤادى وجميع أحوالى ، حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتجعل لى مقاما بين مقامات أهل ولايتك ، ومضطربا فسيحا فى ميدان طاعتك » .

على أن هذه النزعة التيوزوفية التى تظهر من خلال نظريتى ذى النون فى المعرفة والتوحيد ، والتى أجملناها هنا ، قد عرض لها هذا الصوفى مفصلة ، وعرضها فى صورة شعرية ضمنها قصيدة طويلة نقف منها عند بعض أبياتها الدالة على منزعه التيوزوفى فى معرفة الذات الإلهية وإثبات الوحدانية لها : قال ذو النون : —

رب تعالى فلا شىء يحيـط به ... وهو المحيط بنا فى كل مرتصد

لا الأين والحيث والكيف يدركه ولا يحد بمقدار ولا أمد
وكيف يدركه حد ولم تره عين وليس له فى المثل من أحد
أم كيف يبلغه وهم بلا شبه وقد تعالى عن الأشباه والولد
من أنشأ قبل الكون مبتدعا من غير شىء قديم كان فى الأبد
ودهر الدهر والأوقات واختلفت بما يشاء فلم ينقص ولم يزد

إلى أن يقول :

وجل فى الوصف عن كل الصفات وعن مقال ذى الشك والإلحاد والعند
من لا يجازى بنعمى من فواضله ولم ينله بمدح وصف مجتهد

وكما كان لذى النون نظرية فى المعرفة وتوحيد الله فقد كان له أيضا نظرية فى المحبة : فهو يرى أن ثمة حبا متبادلا بين العبد المحب وبين الرب المحبوب ، وأن هذا هو الحب الإلهى الذى ينبغى على من تحقق به ألا يتحدث عنه أو يبوح به لمن لا يعرفون من الحب غير معناه الحسى . ويرى ذو النون أن سبيل العبد إلى إقبال الرب عليه وحبه له هو أن يكون العبد صابرا شاكرا ذاكرا ، أما إذا كان العبد ساهيا لاهيا معرضا عن ذكر الله فذلك علامة إعراض الله عنه . ويرى أيضا أن الرب إذا آنس العبد بخلقه أوحشه من نفسه ، وإذا أوحشه من خلقه آنسه بنفسه .

والمتأمل فيما أثر عن ذى النون من أقوال منثورة وقصائد منظومة ، يلاحظ أنه يصطنع لفظتى الحب والمحبة اصطناعا صريحا سواء فى تعبيره عن إقبال الله على العبد أو إقبال العبد على الله ، وأنه باستعماله لفظة الحب بنوع خاص إنما يشارك رابعة العدوية التى عاصرته ، والتى تعد أول من استعمل هذه اللفظة استعمالا صريحا فيما كانت تناجى به ربها ، أو فيما كانت تتحدث به عن علاقتها به وإقبالها عليه وإيثارها له . وعلى الرغم من أن كتب التراجم والطبقات قد تضاربت فى إثبات الصلة بين ذى النون ورابعة ونفيها ، فإننا لا نستطيع مع ذلك أن ننكر ما بين مذهبيهما فى الحب الإلهى واستعمالهما للألفاظ الدالة عليه والمعبرة عنه من أوجه الشبه ، ومهما يكن من شىء فإنه يتبين من بعض ما أورده أبو نعيم أن ذا النون قد لقى امرأة وصفها بأنها صديقة دون أن يذكر اسمها ، وأنه استمع إليها ونقل عنها كلاما فى تعريف

المحبة ووصفها جرى على لسانها فى ثنايا ما دار بينه وبينها من حوار ، كما نقل عنها أبياتا فى تقسيم الحب إلى حبين : حب الهوى ، وحب خليق بذات الله وحده . ونحن إذا وقفنا عند هذه الأبيات التى تقول فيها مخاطبة ربها : —

أحبك حبين : حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فذكر شغلت به عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا ولا فى ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وإذا عرفنا أن هذه الأبيات تنسب إلى رابعة انتهينا إلى أن ذا النون إنما يتحدث هنا عن هذه الزاهدة العابدة العاشقة وعن حبها لله دون أن يذكر اسمها .

وكما كانت رابعة تذهب فى حبها الإلهى مذهباً قوامه الإقبال على الله ، وإيثاره على كل من عداه ، والتنزه عن عبادته خوفاً من ناره أو طمعاً فى جنته ، بحيث كانت غايتها القصوى هى أن ينكشف عن عين قلبها غين الحجاب ، فتستمتع بما يبيحه الله لها من مطالعة وجهه الكريم ، فكذلك كان ذو النون يذهب فى حبه هذا المذهب الذى جعله يتخذ من الله غايته ومعقد رغبته : فقد كانت رابعة تناجى ربها بقولها « إلهى ، إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقنى بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنيها ، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى » . وكانت تتحدث عن حبها الإلهى فتقول إنها لم تكن تعبد الله إلا حبا له وشوقا إليه . وهذا هو ما يعبر عنه ذو النون تعبيرا وإن اختلف فى بعض تفاصيله عما ذهبت إليه رابعة ، فهو يظهرنا من غير شك على أن الفكرة الرئيسية التى انطوى مذهبه فى الحب عليها ، والغاية القصوى التى كان يرمى فى هذا الحب إليها ، إنما هى حب الله لذاته ، والإقبال عليه ابتغاء لوجهه ، دون أن يكون له من وراء ذلك أى مطمع آخر ، كما يدل على هذا كله قوله فى هذه الأبيات :

أموت وما مانت إليك صبابتى ... ولا رويت من صدق حبك أوطارى
منای المنا كل المنا أنت لى منى ... وأنت الغنى كل الغنى عند إقصارى
وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتى ... وموضع شكواى ومكنون إضمارى

وهكذا ينتهى بنا كل ماتقدم من حديث عن حياة ذى النون الروحية ومذهبه فى الطريق إلى الله وفى المعرفة اليقينية والمحبة الإلهية إلى أن ذا النون المصرى لم يكن زاهداً أو عابداً من طراز الزهاد والعباد الذين حفلت بهم عهود الحياة الروحية الإسلامية الأولى فحسب ، وإنما كان صاحب منهج وصاحب مذهب ، وكان أخص خصائص منهجه التحليل والتعليل والتأويل وكلها أشياء تبينا بعض آيآتها من خلال ترتيبه وتصنيفه للأحوال والمقامات ، كما كان أبرز مايتسم به مذهبه من سمات ، هذه الصبغة التيوزوفية التى اتخذ فيها من الله موضوعا أسمى لمعرفته ومحبته وغاية قصوى لرغبته ومنيته .

الاسلام والقومية العربية

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

إذا رجعنا إلى التاريخ فى فهم نشأة القومية العربية وجدنا أن القرن الأول من من حياة الإسلام كان المرحلة التى ولد فيها الوطن العربى الأكبر ، من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى : فإنه لم يكد ذلك القرن ينتهى حتى كانت مجموعة الأمم التى تعيش فى تلك الرقعة من الأرض قد أصبحت اسلامية الدين عربية اللغة ، وحتى كانت قد أستعدت لنشر الرسالة الحضارية التى تفجرت ينابيعها من قلب الصحراء العربية .

وإذا رجعنا إلى ما قبل الإسلام من التاريخ القديم لتلك البقعة من العالم لحظنا ظاهرتين جديرتين بالتسجيل : أولاهما أنها كانت مهداً لأقدم الحضارات الأنسانية ، والثانية أنها كانت مطلعا لشموس الديانات السماوية التى يدين بها الشطر الأكبر من سكان العالم .

فعلى أديم المنطقة الواقعة فى غرب أسيا وشرق افريقية نشأت الحضارات المصرية والبابلية والآشورية والآرامية والفينيقية ، ثم العربية التى نسجت من خيوط هذه الحضارات القديمة نسيجا حضاريا جديدا . ومن عبقرية أهل هذه المنطقة عرفت الانسانية الكتابة والورق ، واستعمال الآلات الزراعية وغيرها من وسائل المدنية ، وفى آثارهم الباقية كشف الباحثون عن أقدم السجلات لجهود البشرية فى التشريع والتفكير الدينى ، وفى التصوير الفنى والأدب الأسطورى ، ومن مدنيات هذه البلاد القديمة تعلم الأريون — وهم اسلاف الأوروبيين — فى انسياجهم نحو الغرب — أول دروس المدنية ، كما يعترف بذلك أكابر باحثيهم المعاصرين . وفى هذا يقول المؤلف الأمريكى المشهور « برستد » فى كتاب له بعنوان « انتصار الحضارة » ما نصه فى ترجمته العربية المنشورة :

« استطاع كل من سكان مصر وغرب آسيا اختراع الكتابة قبل أن يعرف غربى أوربا طريقة للكتابة بثلاثة الآف سنه . وكذلك استعمل المصريون وسكان غربى آسيا الأدوات المعدنية وكانت لهم صلة تجارية بغيرهم من الأمم بواسطة السفن فى الوقت الذى كان فيه الأوربيون مازالوا يبنون منازلهم مستعينين بأدوات من الحجر ولم يعرفوا على الأرجح أية وسيلة من وسائل الملاحة غير الزورق المنحوت فى جذع الشجرة ومع هذا فهناك أمر اتفق عليه جميع الباحثين وهو أن مراحل الحضارة القديمة التى كانت أساساً لحضارتنا (أى حضارة الغرب) الحالية لم تنشأ فى قارة أوربا بل إنها تطورت فى الناحية أنها تطورت فى الناحية الشرقية من البحر الأبيض المتوسط فى كل من مصروغرب آسيا » .

ويقر مؤلف انجليزى فى كتاب له بعنوان « ميلاد المدنية فى الشرق الأدنى » .

أن بدء المدنية فى الشرق الأدنى كان حدثا ذا أهمية فريدة . ومن المتفق عليه أن مصر وأرض ما بين النهرين كانت أول بلاد ترتفع فوق المستوى العام للحياة البدائية . فهنا — وهنا فقط — نستطيع أن نتأكد أن التطور كان ذاتيا ، لم يكن منبعثا عن اتصال بأجانب أكثر ارتقاء . هذا إلى أن المدنيات التى نشأت فى وادى النيل وغربى آسيا تعتبر من وجهات كثيرة الأصول الأولى لمدنية الغرب .

والظاهرة الثانية أن الرقعة الوسطى من الشرق الأدنى كانت المنبر الذى أذيعت من فوقه رسالات السماء لهداية الناس ، والأفق الذى انتشرت منه أضواء الكتب المقدسه . وقد شاءت حكمة الله أن يجعل خاتم رسله من هذه البقعة ، وأن يختاره رسولا من صميم العرب ، وأن يجعل معجزته الباقية على الزمان كتابا عربيا مبينا ، وأن يجعل من لغة العرب الأداة الطيعة لنشر رسالة الإسلام ، ونسجيل معارفة وذخائره الفكرية طوال العصور .

على أنه من الثابت تاريخيا أن الصحراء العربية بدأت قبل الإسلام ترسل طلائعها إلى البيئات الحضارية المجاورة ، وتتصل بها اتصال هجرة وتجارة وحرب وسلام ، فاستقر كثير من قبائل البدو فى تلك الجهات ، وقامت لهم فى بعضها دول ذات نظام وملك : كالمناذرة فى العراق والغساسنة فى الشام . وبدأت فى القرنين

الخامس والسادس الميلاديين تتردد فى جنات البادية وما جاورها من الحاضرة أصداء لسان عربى موحد ، يرتجز به الشعراء ، ويهتف به الخطباء فكان ذلك إرهاصا بالمعجزة البيانية الخالدة التى صدق الله بها رسوله العربى ، وإيذانا بمولد مدنية عالمية راقية ، تزدهر مراكزها العربية الكبرى فى الحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب والأندلس ، وتشع على معظم أنحاء العالم القديم أضواء من الهداية تنير لها طريق طريق الرقى ، وتهيىء لها وسائل النمو من الطفولة إلى الرشد الإنسانى .

وإذن فقراءتنا لتاريخ بلاد الشرق الأدنى تنتهينا إلى ثلاثة عوامل كان لها أثرها فى نشأة القومية العربية . الأول ما كان بين صحراء الجزيرة والبيئات المجاورة لها من اتصال فى القديم ، والثانى السبق الحضارى الذى جعل من بعض بلاد تلك المنطقة تربة صالحة لنمو مدينة عالية راقية ، والثالث الدين الذى اضفى على تلك المنطقة صفاء وروحانية ، ووضع لها أصول نهضة تشريعية وفكرية حديدة ، وأمدها بالأداة الثقافية الضرورية للرقى الفكرى والاجتماعى وهى اللغة الخصبة الموحدة .

حول مقال :

القرآن ووجوب العناية به

فى مدارسنا وحياتنا

أرسل السيد الدكتور محمد متولى محافظ المنوفية إلى سماحة الأستاذ محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية الخطاب التالى :

تحية طيبة وبعد :

فقد اطلعنا على مقالكم الافتتاحى بعنوان « القرآن ووجوب العناية به فى مدارسنا وحياتنا» المنشور بعدد المجلة الصادر بتاريخ أول ديسمبر سنة ١٩٦٠م .

ويسرنى أن أبث لفضيلتكم بخالص شكرى على العبارات الطيبة التى أسبغت علينا فضلا لانستحقه .

فنحن لانهدف بهذا الموضوع إلا إحياء كتاب الله الكريم والنهوض بالدراسات الإسلامية ، واللغة العربية .

ونرجوا الله أن يمتعنا ببركة القرآن الكريم وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل . . والله ولى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومجلة « الإسلام والتصوف » إذ تبارك فى سيادة الدكتور المحافظ تلك الروح الإسلامية العالية التى أملت عليه إصدار قراره الهادف بتدريس القرآن الكريم لتلاميذ مدارس محافظة المنوفية فى جميع مراحل التعليم ، لتوصل دعوتها عالية الصوت حتى يتخذ السادة المحافظون جميعاً قراراً مماثلا بتدريس القرآن الكريم فى مدارس محافظاتهم ، إحياء لدينا ، وارتفاعا بأخلاقنا ، وبناء لأمجادنا ، وحماية لشبابنا من تلك التيارات إلا لحادية المنحرفة ، وخطوة إيجابية حاسمة فى بناء المجتمع الإسلامى القرآنى ، المهتدى بقرآنه ، المعتصم برسالته ، القائم بدعوته ، فى سبيل إنسانية أسمى ، وعالم أفضل .

فلسفة الحضارة الأوروبية
ليست روحية ولا إنسانية

للدكتور سليمان حزين

مدير جامعة أسيوط

نحن نعرف أن أوربا الحديثة ، فى عهد النهضة كانت قدبدأت تضع لنفسها فلسفة جديدة فى الحياة ، وكان مفكروها ورجال الفكر فيها قد بدءوا يتأملون تاريخ الانسانية ، ويحاولون فى الوقت نفسه أن يجدوا لقارتهم الصغيرة ولشعوبها المتطاحنة مكانا تحت الشمس بين القارات والشعوب الأخرى ، بل مكانا فى تاريخ الانسانية تبرز فيه قارة أوربا رغم صغرها ، ويبرز الدور الذى لعبته شعوبها رغم حداثة عهدها وعهدهم بالحضارة البشرية .

وكان أولئك المفكرون فى عهد النهضة الأوربية قد شعروا بمركب النقص ، الذى يرجع إلى أن قارتهم صغيرة ، تقع فى ركن من أركان العالم ، بعيدا عن وسط العالم القديم ، ذى الحضارة والمدنية العريقة ، بل كان أولئك المفكرون ، قد أحسوا بمركب النقص لأن قارتهم لم تشارك فى تاريخ الحضارة البشرية وبناء التراث الانسانى ، إلا مشاركة ضعيفة جدا ، ومتأخرة جدا ، حتى لكأن أوربا كانت تعيش من الناحية الحضارية ، عالة على غيرها من القارات ، وكانت شعوبها المستضعفة فى العصور القديمة والقرون الوسطى ، تعيش على ما يلقى إليها ، أو يتسرب نحوها من فضلة الحضارة أو بصيص النور الذى يخرج من المركز التقليدى للحضارة الانسانية فى الشرق الادنى ، ليجد سبيله بعد لأى وعناء كثير الى داخلية أوربا وأطرافها الشمالية الغربية .

قرأ فلاسفة أوربا ومفكروها فى عهد النهضة الأول ، وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، تاريخ الانسانية فوجدوه حافلا بالحضارة والحكمة ، التى نشأت فى الشرق الأدنى ، وحوض البحر المتوسط ، وفى بلاد الهند أو بلاد الصين ، ولكنهم لم يقرءوا شيئا عن الحضارة فى أوربا ، الا ما نشأ منها فى جنوب تلك القارة ، متأثرا بحضاره الشرق القريب فى آسيا وافريقية ، ثم نظر أولئك الفلاسفة والمفكرون

الأوربيون ، إلى حياتهم فى عهد النهضة الاوربية الحديثة فوجدوا أن مظاهر الحكمة كأصولها واضواءها التى بدأت تنير الغرب ، انما ظهرت كلها فى بلاد المشرق ، فأما العلم والفكر الحديث فقد بدأ فى بلاد اليونان ولكنه كان على كل حاو متأثرا أبلغ التأثر بالحكمة السابقه ، فى مصر والشرق القريب ، وأما الناحية الروحية والدينية التى غلبت على أوربا ، فقد نشأت كلها مع المسيحيه ، فى الشرق مهبط الوحى ، ومن هناك انتشرت المسيحية إلى جنوب أوربا ، فلاقت من العناء أشده ، ومن الاضطهاد أعنفه ، ومن الأهوال أعظمها وأقساها حتى أذن الله للمسيحية ولنور الشرق أن يغلب وأن ينتشر ولكن هذا التاريخ الذى عرفه فلاسفة أوربا وحكماؤها فى عهد النهضة الحديثة ، وماجاء فى أعقابها قد أوقع فى نفوسهم شيئا من الشعور بأن أوربا لم يكن لها نصيب « ظاهر » فى تاريخ الفكر الانسانى ، وان ما أصابته من هذا الفكر فى العهود اللاحقة انما جاء مستعار من الشرق ، ولقد كان أولئك الحكماء والفلاسفة الاوربيون بشرا من الناس ، فأحسوا بشىء من الحقد والغيرة ، وتكشفت نفوسهم عن غير قليل من مركب النقص وكأنى بهم قد أرادوا أن يتشفوا لهذا الماضى ، وأن يلبسوا أوربا ثوبا من القوة يزيل عنها الشعور بالنقص ، ويعوضها من ذلك عظمة الكبرياء الظاهرى ، والتعالى على غير أساس ، وقد انعكست صورة ذلك كله فيما كتبه بعض أولئك الحكماء والفلاسفة ، اجتزىء منه فقرة كتبها المفكر المعروف « منتسكيو » فى كتابه الذى ذاع صيته ، وعرف بأنه أساس من أسس الفكر الاوربى الحديث ، شريعة من الشرائع التى تفتق عنها ذلك الفكر الاوربى لترسم طريق المعاملات بين الشعوب والأمم ، ألا وهو كتاب « روح القوانين » فقد جاء فى أحد فصول ذلك الكتاب نص لا اقرأه الا شعرت أن وراءه مركب النقص ، الذى ينطوى على غير قليل ، من الحقد الدفين والتشفى الظاهر ، وهذا النص هو : « إذا كان على إن ادافع عن حقنا المكتسب فى أتخاذ الزنوج ذوى البشرة السوداء عبيدا ، فاننى أقول ان شعوب أوربا ، وقد افنت سكان ، أمريكا الأصليين ، لم يكن أمامها ، الا أن تستعبد شعوب افريقية ، لكى تستخدمها فى استصلاح ارجاء أمريكا الشاسعة ، وما شعوب افريقية الا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم إلى قمة الرأس ، ذات أنوف فطساء الى درجة يكاد من المستحيل أن نرثى لها ، وحاشا لله

ذى الحكومة البائنة أن يكون قد أودع روحا — أو على الأخص روحا طيبة — فى جسد حالك السواد » .

فى هذا النص ، وفى هذه الصيغة البشعة من الفكر الأنانى الضيق ، صاغ هذا المفكر الأوربى ما جال بخاطره من فكر يتصل بفلسفه الاستعمار ، وكأنى به قد أراد أن يعتذر عن خطيئة أبناء أوربا الذين عملوا على ابادة الهنود الحمر فى امريكا الشمالية ، ليحلوا محلهم فى أرض تلك القارة . . . أراد أن يعتذر عن ذلك ، فأورد عذرا هو أقبح من الذنب ، وكأنى به قد أراد أن يبرر استعباد الاوربيين لزنوج افريقيه ، حين نقلوا بضعة ملايين منهم من القارة الافريقية ليستخدموهم عبيدا فى تعمير اراضى هذه القارة الجديدة ، ونيا فيها الواسعة ، فاعتذر بأن ذلك كان أمرا ضروريا ، بعد أن أعمل الاوربيون فى أمريكا الشمالية وسائل التقتيل والافناء فى سكان القارة الأصليين ، فكأن أوربا التى أحالت الاستعمار إلى معارك للافناء بالنسبة لسكان أمريكا من الهنود الحمر ، لم تر بدا من أن تنقل زنوج افريقية بالجملة ، لتسخرهم عبيداً فى فلاحة الأرض التى أهلك الاستعمار سكانها الأصليين ، الشىء الغريب أن هذا اللون الخطير من الفكر الذى هو أبعد ما يكون عن الرحمة الإنسانية ، أو عن الوازع الإنسانى الذى ينبع من الضمير . . ، هذا اللون من الفكر لم يكن مقصورا على مفكرى أوربا وفلاسفتها ، وإنما أمتد منهم إلى بعض رجال الدين فى أوروبا فى ذلك العهد ، فبعض أولئك الرجال لم يتورعوا ، مع الأسف الشديد ، عن الأنزلاق فى تيار مثل ذلك الذى سار فيه منتسكيو . ومن المتواتر فى بعض الكتب التى تستعرض الاستعمار الأول أن نفرا من أولئك الذين كانوا يتصدون بغير حق إلى قيادة حركة الاستعمار والتوسع باسم الدين ، كانوا يصفون الهنود الحمر بأنهم من سلالة الشيطان ، بل كانوا يأمرون بالقضاء عليهم بمختلف الوسائل ، ومن ذلك نشر الأمراض الجديدة ونقل عدواها إلى أولئك الهنود الحمر ، فتحصدهم أو بثتها ، وتطهر البلاد منهم فى غير شفقة ولا رحمة ! . .

ذلك لون من الفكر الأوربى الذى ظهر فى القرون التى تلت عصر النهضة الأوربية الحديثة ، وهو لون لم تعهد الإنسانية له شبيها من قبل اللهم إلا فى بعض عهود الدمار القليلة كعهد التتر المغول ، وما أبعد هذه الروح التى اتصف بها الفكر الأوربى ، عن روح الشرق ، التى اتسمت دائماً بالخير والرحمة ، والعدالة والأخاء .

من سيرة مولانا الحسين

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة ورئيس مجلس إدارة مسجد الإمام الحسين

— ٣ —

وروى السيد محسن بن عبد الكريم الحسينى فى لواعج الاشجان أن الحسين عليه السلام دخل على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول واغماه فقال له الحسين عليه السلام وما غمك ياأخى قال دين ستون ألف درهم فقال الحسين هو على قال إنى أخشى أن أموت فقال ان تموت حتى أقضيها عنك فقضاها قبل موته .

* * *

وكان رضى الله عنه مع جوده الذى امتاز به وكرمه الذى يندر مثله لايجاوز حد السخاء إلى الإسراف ومن حكمه فى هذا الباب قوله رضى الله عنه لاتتكلف مالا تطيق ولا تنفق إلا بقدر ماتستفيد .

* * *

أما شجاعته رضى الله عنه فقد صارت مضرب المثل وأما صبره فى الحرب فقد أعجز الأوائل والأواخر . وكان النقيب أبو زيد يحيى بن زيد العلوى البصرى يقول كأن أبيات أبى تمام فى محمد بن حميد الطائى ماقيلت إلا فى الحسين عليه السلام وهى :

وقد كان فوت الموت سهلا فرده ... إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

ونفس تعاف الضيم حتى كأنه ... هوالكفريوم الروع أو دونه الكفر

فأثبت فى مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت اخمصك الحشر

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى ... لها الليل إلا وهى من سندس خضر

شيء من غيرته الدينية :

قال ابن الأثير فى أسد الغابة كان الحسين رضى الله عنه فاضلا كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها .

وقد حج رضى الله عنه على ماروواه مصعب بن الزبير خمسا وعشرين حجة ماشيا ونجائبه تقاد معه .

تواضعه رضى الله عنه :

وكان رضى الله عنه متواضعاً .

روى ابن عساكر فى التاريخ الكبير أن الحسين مر بمساكين يأكلون فى الصفة فقالوا الغداء ، فنزل وقال إن الله لايحب المتكبرين فتغدى . ثم قال لهم قد اجبتكم فاجيبونى . قالوا نعم فمضى بهم إلى منزله وقال للرباب خادمته اخرجى ما كنت تدخرين .

ويعجبنى ماقاله الشاعر الملهم الأخ الشيخ الصاوى شعلان فى وصف مولانا الحسين

ميراثه عن رسول الله سيرته ... وسيرة نحو غايات العلا دأبا
قيامه ونجوم الليل حالكة ... وصومه والفيافى تقذف اللهبا
وفكره خاشعاً لله مبتهلا ... بالله معتصما لله مرتقبا
ذكر العشيا وتسبيح الشروق وادمان السجود ونثر الدمع منسكبا
والجود بالعلم أو بالمال يبذله ... حتى غدت روحه من بعض ماوهبا
كان الحسين لنا من جده مثلا ... والفرع للأصل مرآة فلا عجبا

شيء فى بلاغته رضى الله عنه :

قال ياقوت المستعصمى فى أسرار الحكماء ؛ قال الحسين عليه السلام : إذا سمعت أحدا يتناول أعراض الناس فاجتهد الا يعرفك فإن أشقى الأعراض به معارفه ، وقال عليه السلام : لا تتكلف مالا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعد بما لا تقدر عليه ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح إلا بما نلت طاعة الله تعالى ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلا .

وروى ابن عساكر فى التاريخ الكبير أن الحسين قال لنافع بن الأزرق لما قال له صف لى الهك الذى تعبد :

يانافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى الالتباس مائلا إذا كباً عن المنهاج ظاعنا بالأعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل . يابن الأزرق أصف الهى بما وصف به نفسه لايدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب غير ملتصق وبعيد غير مستقص يوجد ولا يبغض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال .

فبكى الأزرق وقال ماأحسن كلامك فقال له بلغنى أنك تشهد على أبى وعلى أخى بالكفر وعلى . قال ابن الأزرق والله ياحسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام . فقال له إنى سائلك عن مسألة فقال سل فسأله عن قوله تعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) فقال يابن الأزرق من حفظ فى الغلامين فقال أبوهما فقال الحسين أبوهما خير أم رسول الله فقال ابن الأزرق قد أنبأ الله تعالى عنكم أنكم قوم خصمون . وأن الأزرق هو أبو راشد نافع ابن الأزرق رأس الأزارقه . ومن بدعهم أنهم كفروا عليا وعثمان وعائشة وطلحة والزبير وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم وقد حارب بالمهاب بن أبى صفرة الأزرقة وفرغ من أمرهم أيام الحجاج

وقال الشافعى مات ابن للحسين فلم ير عليه كآبة فعوتب فى ذلك فقال أنا أهل بيت نسأل الله تعالى فيعطينا فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا .

ومن كلامه رضى الله عنه وهو يودع أباذر وهو خارج من المدينة إلى منفاه فى الربذة

ياعماه ان الله تعالى قادر أن يغير ماقد ترى والله كل يوم هو فى شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك فما أغناك عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم فاسأل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع فإن الصبر من الدين والكرم ، وأن الجشع لايقدم رزقا والجزع لايؤخر أجلا .

فبكى أبو ذر رضى الله عنه وكان شيخاً كبيراً وقال رحمكم الله ياأهل بيت الرحمة إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم .

وقال ابن عساكر فى التاريخ الكبير خطب الحسين فى اليوم الذى استشهد فيه

قال بعد حمد الله والثناء عليه عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فإن الدنيا لو بقيت لأحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضاء وأرضى بالقضاء غير أن الله خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والمنزل بلقعة والدار قلعة فتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون .

وروى ابن جرير الطبرى أنه رضى الله عنه لما صبحته الخيل يوم الطف رفع يديه فقال : اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ورجائى فى كل شدة وأنت لى فيها كل أمر نزل ثقة عدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدو انزلته بك وشكوته إليك رغبة منى اليك عمن سواك ففرجته وكشفته فأنت ولى كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة .

اقتصاص الله تعالى من قتلته :

من آيات العدل الإلهى ان ابن زياد لعنه الله قتل يوم عاشوراء كما قتل مولانا الحسين يوم عاشوراء وبعث رأسه إلى سيدنا على بن الحسين الملقب بزين العابدين ولم يعمل يزيد بعد مقتل مولانا الحسين سوى ثلاث سنين بل أقل . وقد اقتص الله تعالى من كل من اشترك فى دمه الزكى رضى الله عنه فقتل منهم من قتل ونكب من نكب .

ولست أجد من النثر ما أرثى به مولانا الحسين خيراً مما رثى به هو مولانا الحسين حيث قال « قال روح وريحان وجنة ونعيم أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الإساءة عليه » .

ولست أجد من الشعر خيراً مما قاله المرحوم شوقى بك لأبيه الإمام على كرم الله وجهه :

إن غاب ملك الأرض عنك من ملك ياطول ملك فى السماء تم لك

شرف اعتز به :

وقد شرفنى الله بالانتساب خادما لمولانا الإمام الحسين فانتخبت رئيسا لمجلس إدارة مسجده المبارك وقد دخل على قلبى من هذا الشرف سرور ليس بعده سرور والحمد لله رب العالمين .

الحياة الديمقراطية
فى الإسلام

للدكتور محمد توفيق صدقى

قرر الإسلام أول ما قرر ، أن افراد البشر جميعاً عند الله سواء ، وأنه سبحانه لا ينظر إلى صورهم وأزيائهم ، بل ينظر إلى قلوبهم واعمالهم .

وأن رحمته تعالى لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً ، وعذابه لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا .

فلا فرق بين الغنى والفقير والصعلوك والأمير والحر والعبد إلا بالتقوى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فرفع بذلك كل امتياز موهوم بين الأفراد ولم يجعل لأحد على الآخر سلطانا إلا ما اقتضته حدود الشريعة لدفع الأذى ، وحفظ الأمن ، وفيما عدا ذلك لا مسيطر على الإنسان إلا الله وحده ، وليس بيننا وبينه تعالى حجاب أو واسطة « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » فلا كاهن ولا رئيس فى الدين ليقرب الناس من رب العالمين .

زال بذلك كل ما كان وضعه رؤساء الأديان الأخرى من الحجر على العقول ، وعلى ما منحه الله لنا من الحرية ، كدعوى التوسط بين الله والناس فى غفران الذنوب وإباحة ارتكاب بعض المحرمات فى مقابلة دريهمات يأخذونها ، ومنع الناس قراءة كتبهم الدينية إلى غير ذلك من المفاسد التى وقعت فيها الأمم الأخرى ، بسبب عبارات وردت فى كتبهم فهموها بهذا المعنى بحق أو بغير حق ، واستمرار على العمل بها إلى ما بعد مجيء الإسلام بعدة قرون ثم أخذ بعض الطوائف فى الأصلاح بمثل ما أتى به ديننا القويم من قبل .

أمكن المسلم بسبب ذلك أن يقف بين يدى الله تعالى وحده ويقرأ كتابه

بنفسه ، ويفهم منه ما يشاء أن يفهم ، فلا توسط ولا مراقبة ولا حجر والناس غيره فى عبودية وذل ، وغباوة وجهل .

ذم الإسلام بعد ذلك التقاليد ونهى عن متابعة الأهل فى شىء إلا بدليل « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .

وأمر المسلم أن ينظر فى القول ليميز صدقه من باطله بدون نظر إلى قائله « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » وخاطب القرآن العقل فلم يقرر عقيدة ، أو يرد أخرى إلا بالدليل العقلى .

وأى كتاب غيره أقام الدليل على حدوث العالم بحركات الأجرام السماوية ، كما أقام الدليل على البعث بالمقابلة بالخلق « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العظيم » ولم يكتف بإقامة الحجة على العقائد فقط ، بل لا تجد فى الغالب أمراً أو نهياً إلا أتبعه بالدليل ، ولم يرض بالإسلام والرضوخ بدون معرفة السبب فقال فى الصيام مثلا : « كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» وقال فى الحدود : «ولكم فى القصاص حياة » وقال فى الأخلاق : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة أدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

فأى دين أتى بهذا كله . ذلك دين القيمة .

الكرامة...

والمعرفة...

- سئل سهل بن عبد الله التسترى عن الكرمات فقال: « وما الآيات ؟ وما الكرمات ؟ شيء ينقضى لوقته ، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود » .

- وعن أبي يزيد البسطامى قال : « كان فى بدايتى يربنى الحق الآيات والكرامات فالتفت إليها ، فلما رآنى كذلك، جعل لى إلى المعرفة سبيلا »

- وقيل لأبى يزيد فلان يقال : إنه يمر فى ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر فى لحظة من المشرق إلى المغرب وهو فى لعنة الله .

- وقال أبو يزيد : لو أن رجلا بسط مصلاة على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الأمر والنهى .

- قال أبو القاسم الجنيد : « حجاب قلوب الخاصة يكون برؤية النعم وبالتلذذ بالعطاء ، وبالسكون إلى الكرامات » .

- ويقول أبو نصر السراج : سمعت ابن سالم يقول : سمعت أبى يقول : كان رجل يصحب سهل بن عبد الله ، يقال له عبد الرحمن بن أحمد ، فقال يوماً لسهل : يا أبا محمد ، ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من يدى ، فيصير قضبان ذهب وفضة !!؟ فقال له سهل ياحبيبى أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة حتى يشتغلوا بها .. دعك من هذا اللغو . انظر ماذا تعمل » .

الانسان قلب غلافه الجسم

أصلحوا القلوب تصلح الأخلاق والأجسام

للأستاذ خلف محمد الحسيني

المدير المساعد السابق للتعليم الثانوى بمنطقة أسيوط

مضى عصر الظلم والظلام والاحتلال ، وجاء عصر النور والاستقلال . فقد قبض على أزمة أمورنا فى هذا العصر الذهبى مصريون من صميم الشعب يؤمنون بالله وبالوطن ، ويجاهدون فى سبيل إنهاض الشرق والغرب قاطبة .

ولا ريب أن الاستقلال السياسى والاقتصادى هما أساس كل نهضة وكل تقدم ورقى ، وإلا فكيف يطير الطائر وهو مهيض الجناح ؟

ومما لاشك فيه أن الأخلاق هى عماد نهضة الأمم ورقيها ، ولا أخلاق بدون إيمان بمثلها العليا ، ولا مصدر لهذه المثل إلا الدين . ثم الدين . ثم الدين . ولا أثر للدين إلا إذا مس شغاف القلوب ، واستقر بين الجوانح ، فقد أشار النبى (ص) إلى ذلك فى حديثه المشهور « إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» وهل يصلح القلب ويشفى من أمراضه المعنوية إلا بالقرآن وهو شفاء لما فى الصدور ؟ .

وإذا فالقلوب هى التربة الخصبة التى يغرس فيها الأبوان والمعلمون تلك المثل العليا « وكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » تبعاً لتأثير بيئته . وكلما كانت القلوب غضة بضة نقية ؛ كانت أقبل للغرس ، وأحفظ لما يودع فيها من بذور الفضائل ، فالتعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر . ولكن هذا النقش ذا التأثير القوى يعوزه نقاش ماهر مؤمن بمهنته ، متقن لصنعته ، مخلص لرعيته .

فمن لنا بهؤلاء المعلمين أمثال السيدين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ؟ من لنا بمعلمى الدين ذوى الآفاق الواسعة والحجج القنعة ، والقدرة على مواجهة الشكوك وانتشال الشبان المنحرفين من وهدة الرذيلة إلى ذروة الفضيلة ؟ .

أساءة جسمك شتى حين تطلبهم فمن لروحك بالنطس المداوينا ؟

نستطيع أن نعثر على بعض معلمى الدين باختيارهم مؤقتا من بين القادة الصالحين للدنيا والآخرة ربما تنشىء وزارة التربية والتعليم قسما للتربية الدينية أو أقساما بكليات المعلمين لتخريج المتخصصين فى تدريس الدين ، بحيث يكونون قدوة حسنة لغيرهم فى الأقوال والأفعال ، فليس الدين مقصوراً على الصلاة والصيام والزكاة والحج ؛ فإن هذه أركانه وعمده التى يبنى عليها كما أشار إلى ذلك الحديث المتواتر « بنى الإسلام على خمس . . . » فالدين كما قال الرسول (ص) هو المعاملة ؛ « والدين هو النصيحة » ، والدين هو العمل والانتاج والسعى على الرزق والكفاح والجهاد فى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وما إلى ذلك مما هو مسطور فى الدستور الإلهى وهو القرآن العظيم ، معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين . ومنه استمد أخلاقه وآدابه الربانية ، التى هى المثل الأعلى للإنسانية .

وبآياته البينة التى تتفق مع الفطرة السليمة ومع طبيعة البشر أسلم الناس ولا يزالون يسلمون حتى فى هـذا العصر المنعوت بعصر الإلحاد والتشكك وعصر الإباحية واللادينية .

ألم تر إلى من أسلم فى هذا العام من الأوربين والأمريكان بمحض إرادتهم واقتناع عقولهم ، واستجابة فطرتهم بعد دراسة الدين الإسلامى وإيمانهم بالقرآن ؟ فقد أسلم فى هذا العام خمسة من الرجال والنساء الأجانب أذكر منهم على سبيل المثال آنسة سويسرية سميت بعد إسلامها « جميلة زوسترنج » . وقد ذكرت أن أسباب إعجابها بالإسلام واعتناقها له : أنه نقى كالبلور خال من الشوائب وأنه دين الوحدة يجمع الناس جميعاً على كلمة واحدة هى كلمة التوحيد وعلى عبادة واحدة ورب واحد وذكرت أنها أحبت فى الإسلام حبه للسلام وكراهيته للحرب وأحبت فى الإسلام كماله لأنه يذكرنا

بأصلنا القديم دائما ويدلنا على الطريق الأمثل لعلاقاتنا مع إخواننا بنى آدم كما أنه يشجعنا على دراسة الظواهر الطبيعية .

وبما أن مشكلاتنا تتعلق بطبيعتنا كبشر وتتعلق بوجودنا الإنسانى فى عالم طبيعى مادى فإنه يجب علينا أن نرجع دائماً إلى القرآن . إذن نستطيع أن نأخذ منه كل التعاليم السامية ونعثر على الحلول الموفقة للمشكلات التى توجهنا .

هذا وكل علاج للنفوس وإصلاح للأخلاق بعيد عن القرآن لا خير فيه ولا أمل يرجى منه ، لأن العبرة بما تكنه الجوانح ، لا بما تبديه الجوارح وفى الحديث « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » فمن لم يؤمن بحرمة قتل النفس ويخشى عذاب الله فى الدنيا والآخرة فلن يزعه وازع .

والدليل على ذلك أن محاكم الجنايات قد ضجت من كثرة السرقة والقتل والغش وما إلى ذلك من المنهيات المحرمات ، وكذلك المعاهد والمدارس تعانى ما تعانى فى سبيل تقويم انحراف الشباب وتبذل فى ذلك ما تبذل من تمثيليات وعقوبات ، ولو عنيت بالقرآن ودراسته كما سبق بيانه لاهتدت إلى الدواء الناجع وسارت فى أقوم سبيل وأصلح طريق ، والله يهدينا سواء السبيل ؟

اخترنا لك .

محيي الدين النووى الصوفى
والسلطان بيبرس

للدكتور عبد الوهاب عزام

كان شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى النووى من أعلام العلماء فى القرن السابع الهجرى ، ذا مكانة عالية بين علماء الفقه والحديث ، وكان له فى التقوى والورع والزهد سيرة محمودة ، وفى نصرة الحق وتأييده مواقف مشهودة . ولا بأس أن نثبت هنا بعض سجعات ابن السبكى : « كان يحيى رحمه الله سيدا وحصورا ، وليناً على نفسه هصورا ، وزاهدا لم يبال بخراب الدنيا إذا صير ربع دينه معمورا ، له الزهد والقناعة ، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة ، والمصابرة على أنواع الخير ، لا يصرف ساعة فى غير طاعة . هذا مع التفنن فى أصناف العلوم : متون أحاديث ، وأسماء رجال ، ولغة وصرفا إلى غير ذلك » .

ولست أبغى هنا ترجمة النووى ، ولكن أذكر واقعة كانت بينه وبين الظاهر بيبرس ، وهى واحدة لها أمثال فى سيرة الشيخ ، ولها نظائر كثيرة فى تاريخ الإسلام :

كان بيبرس ملكا مجاهدا ، أبلى فى قتال التتار والصليبيين بلاء عظيما ، وقد تظافرت شجاعته وعزيمته مع شجاعة أسلافه وأخلافه من الأيوبيين والمماليك ، فكانت مرآ من الجهاد والجلاد وقى البلاد المصرية مصائب الغزاة وخيب دونها آمال الصليبيين مائتى سنة . وكذلك كانت همته وإقدامه هو وجنوده فى مصر والشام كالطود ، ارتد عنه سيل القتال بعد أن جرف البلاد الإسلامية ، من سمرقند وخوارزم إلى حلب ودمشق ؛ فعلموا جنود هلاكو فى « موقعة عين جالوت » وما بعدها ؛ أن مصر أبعد من أن يطمعوا فيها ، وأن الشام أعز من أن يسيطروا عليه .

وكان بيبرس فى جهاده المستمر ، وحربه المتمادية ، يتوسل إلى المال يستعين به على جهاده ، وكان الشيخ النووى يكتب إليه ناصحا كما رأى فى عمل السلطان شدة ،

أو جورا ، أو مخالفة للشرع ، لا يني في هذا ولا يداهن ، ولا تأخذه رغبة ولا رهبة .

كتب مرة إلى السلطان هو وبعض العلماء . يطلبون رفع بعض المكوس ، ويوصون بالعدل والشفقة ، فكان في الجواب إنكار وتوبيخ وتهديد ، فكتب الشيخ النووي يجادل فيما تضمنه جواب السلطان ، ويقول :

« وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة العلماء ، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه . وأي حيلة لضعفاء المسلمين في الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ولا علم لهم به ؟ وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ؟ وأما أنا في نفسي فلا يضرني التهديد ولا أكثر منه ، ولا يمنعني ذلك نصيحة السلطان فإني أعتقد أن هذا واجب علي وعلى غيري . وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى : إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار » . « وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد » . وقد أمرنا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحق حيثما كنا ، وألا نخاف في الله لومة لائم .

ولما ذهب السلطان إلى الشام لمحاربة التتار أراد أن يأخذ مالا من الرعية يستظهر به على العدو ، واستفتى العلماء فأفتوه . ثم سأل عن الشيخ النووي أن يشارك العلماء في الفتوى ، فلما حضر الشيخ قال السلطان : أكتب خطك مع الفقهاء . فامتنع . قال السلطان : لماذا لا تكتب ؟ قال الشيخ .

« وأنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار ، وليس لك مال ، ثم من الله عليك وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية حُقٌّ من المحلىٍّ ، فإذا انفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا من الحوائص ، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي ، أفتيمك يأخذ المال من الرعية » .

قال الظاهر للشيخ : اخرج من بلدي ، يعني دمشق .

قال الشيخ : السمع والطاعة . وخرج إلى نوى .

فأنكر الفقهاء أن يخرج مثل النووي من المدينة ، وسألوا السلطان أن يرجعه . فأمر السلطان بإرجاعه . فأبى الشيخ وقال : لا أدخلها والظاهر بها .

لست أدرى أكان السلطان محقا فى فرض مافرض من المال أم لا ولست لذلك أعرف أكان الشيخ محقا فى جبه السلطان بما جبهه به ؛ ولكن لاريب عندى أن السلطان أحسن حين التمس فتوى العلماء قبل أن يجمع المال ، وأن الشيخ أدى واجبه حين صارح السلطان بما يعتقد ، ولم يأخذه فى الحق خوف ولا طمع . وأن محيى الدين النووى قد فقه أحسن الفقه ما على العلماء من النصيحة لأولى الأمر . والجهر بالحق فى غير مداهنة ولا خوف .

رحم الله النووى ؛ لقد كان من علماء المسلمين . ولله تاريخ المسلمين ! كم فيه من أمثال محيى الدين ؟

قاموس التصوف

(٣)

اللفظ	المعنى
١ — عالم الأمر	يطلق بإزاء عالم الملكوت ، وهو ما وجد عن الحق بغير سبب .
٢ — عالم الخلق	فى مقابل عالم الأمر ، ويطلق بإزاء عالم الشهادة ، وهو ما وجد عن السبب .
٣ — الغيب	كل ماستره الحق منك لامنه .
٤ — الإشارة	تكون مع القرب ومع حضور الغيب .
٥ — الرداء	الظهور بصفات الحق .
٦ — الفضل	فوق ماترجوه من محبوبك .
٧ — الإسم	الحاكم على حال العبد فى الوقت من الأسماء الإلهية .
٨ — الوقفة	حبس بين المقامين .
٩ — السر	كل مايسترك عما يغنيك .
١٠ — الزاجر	هو واعظ الحق فى قلب المؤمن .
١١ — الرؤية	المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة .
١٢ — المحاضرة	حضور القلب بتوارد البرهان ، ومجاراة الأسماء الإلهية بما هى عليه من الحقائق .

اللفظ	المعنى
١٣ — اللوائح	مايلوح من الأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال .
١٤ — الطوالع	أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس سائر الأنوار .
١٥ — لوامع	مايثبت من أنوار التجلى .
١٦ — البواده	مأيفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة .
١٧ — الفتوح	فتوح العبادة فى الظاهر ، وفتوح المكاشفة فى الباطن .
١٨ — الهمة	تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى ، وجمع الهمم لصفاء الإلهام .
١٩ — الهجوم	مايرد على القلب بقوة الوقت بغير تصنع .
٢٠ — المريد	هو المتجرد عن إرادته ، وقال أبو حامد هو الذى فتح له باب الأسماء ودخل فى جملة المتوصلين إلى الله بالإسم .
٢١ — المراد	هو المجذوب عن إرادته مع تهىء الأمور له ، فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة .
٢٢ — التكليف	إلزام الكلفة على المخاطب .
٢٣ — التصريف	تحويل الأصل الواحد إلى مثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها .
٢٤ — الشطح	عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ، وهو من زلات المحققين ، فإنه دعوى بحق يفصح بها المعارف من غير إذن إلهى بطريق يشعر بالنباهة .
٢٥ — الكرسى	موضع الأمر والنهى .
٢٦ — العرش	مستوى الأسماء المقيدة .

الفكر الاسلامى الحديث

وصلته بالاستعمار الغربى

تأليف الدكتور محمد البهى

عرض وتحليل

الأستاذ سعيد حمزه مكرم المحامى

لم تكد الحرب العالمية الأولى تتوارى ، حتى أصبح الجزء الأكبر من العالم الإسلامى منطقة نفوذ مستقر أو يكاد للمستعمر الغربى .

ولعل من الواضح أن الاستعمار لم يكن فى استطاعته أن يبسط نفوذه وسيطرته على هذا النحو المؤسف على هذه المنطقة من العالم بوسائله العسكرية فحسب ، بل كان من الذكاء بحيث لم يشغله الغزو العسكرى عن توجيه حملات خبيثة منظمة إلى معنويات الشعوب الإسلامية .

ومنذ اللحظة الأولى للاستعمار فى الرقعة الإسلامية وهو يكيد للإسلام بإهدار هذا النبع الأصيل فى النفس المسلمة فى مسارب جانبية ملتوية ؛ فمضى يعمل دائباً على توجيه الفكر الإسلامى وجهات طائشة منحرفة ، تارة بتدبير أعوانه من أبنائه ، وأخرى بخيانة صنائعه من أبناء الشعوب الإسلامية المستعمرة .

وهكذا تجاذبت الفكر الإسلامى منذ بداية الاستعمار الغربى إلى الآن تيارات متضاربة ؛ فإذا برزت حركة تنتسب ظلماً إلى الإسلام ، وتدعى التقدمية فى فهمه وتطبيقه — وهدفها المقنع أو السافر صرف المسلمين عن مقاومة الاستعمار والتمكين لنفوذه بينهم — ! تصدت لها حركة مقابلة ؛ تفضح هذا الاتجاه وتقاومه ! . وإذا لبس الاستشراق مسوح العلماء ، وأقبل على التراث الإسلامى يشوه معالمه وينال من جلاله ، تصدى له فريق يقظ من المسلمين يمزق عن وجهه أقنعة الزيف والتضليل ! .

ومنذ ذلك العهد البعيد والفكر الإسلامى فى أزمة ، بل فى محنة ، ومن حقه علينا أن نرفع من طريقه السدود والحواجز .

ولئن كان من أوليات حل الأزمة — أية أزمة — الكشف عن جذورها البعيدة ، والإحاطة بأسبابها ودوافعها ، وتطوراتها ، ونتائجها ، حتى تثمر محاولات التصفية والعلاج ؛ فقد تصدى لهذه المحاولة الجليلة الدكتور محمد البهى فى بحثه القيم عن « الفكر الإسلامى الحديث وعلاقته بالاستعمار الغربى » .

فى يقظة واعية يأخذ الدكتور البهى فى رصد الحركات الفكرية التى برزت فى الشرق الإسلامى من نقطة انطلاقها ، ويتابع خطواتها فى طرقها الواضحة أو الملتوية ، إلى هدفها القريب أو البعيد .

ففى الهند أخذ السيد أحمد خان يبشر بالعلم الطبيعى والحضارة الغربية المادية بين المسلمين وهدفه من دعوته التهوين من شأن أية قيمة أخرى فيما وراء الحس والشاهد ، وخاصة الدين ، وبصفة أخص الإسلام — هدف هذه المؤامرة — ويخبط السيد خان فى ميدانه هذا خبط عشواء ؛ فيفسر القرآن تفسيرا طبيعياً ينكر المعجزات ، ويصور النبوة غاية إنسانية مكتسبه عن طريق الرياضة النفسية ، ويشكك فى فرضية الجهاد فى الوقت الحاضر ، ويدعو إلى مايسميه بإنسانية الأديان ! !

وبين غيوم هذه الشكوك التى بثها السيد خان ظهرت القاديانية ، ويدعى ميرزا غلام أحمد صاحب هذه النحلة أنه المهدى ، وأن عيسى ومحمداً قد حلا فيه واذن فهو نبى ! !

ولعل من نافلة القول أن نكشف عن الآثار المدمرة التى تتركها مثل هذه الدعوات المأجورة فى الشعوب التى تنتشر بينها .

ولم يكتف الاستعمار الغربى بتعبئة صنائعه لترويج هذه التيارات المنحرفة فى الفكر الإسلامى الحديث ، بل جند المستشرقين ليحاربوا الإسلام والفكر الإسلامى على طريقتهم (العلمية) !! وللمستشرقين فى دراساتهم هذه نزعتان تستهدف أولاهما إضعاف القيم الإسلامية ، وتمجد الثانية القيم الغربية المسيحية .

وهكذا تتابعت وتساوقت الفكر المنحرفة المغرضة فى فهم الإسلام ؛ كفكرة

تنحية الإسلام عن مجال العلاقات بين الأفراد والجماعات ، وفكرة توقيت الجهاد بعهد الرسول وعهد صحابته ، أو فكرة إبطاله اليوم ، وفكرة قبول المسلم لولاية غير المسلم تحت ضغط الظروف الدولية ، وفكرة خضوع الإسلام لعوامل التطور والتجدد ، وفكرة تعدد الإسلام بتعدد شعوبه وأجناسه ومصادره ، وفكرة العنصرية فى عدم زواج المسلمة من غير المسلم ، وفكرة التفوق الجنسى فى قوامة الرجل على المرأة إلى آخر هذا التخريج السقيم عن هوى وقصد لمبادىء الإسلام ! !

ثم يعرض الدكتور البهى بعد ذلك للاتجاه المقابل ؛ « اتجاه مقاومة الاستعمار الغربى » ويتميز هذا الاتجاه أيضاً بنزعتين ؛ أولاهما نقد المذاهب الهائلة للاستعمار ، والكشف عن مؤامراتها الفكرية . وتعنى الثانية بوضع مناهج فكرية جديدة تدعو إلى اليقظة ، وتدعم مقومات الشخصية الإسلامية فى مواجهة مؤامرات الاستعمار . وما يدور فى فلكه من استشراق وأذناب . . وكان فى طليعة رواد هذا الميدان ودعاته جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد إقبال .

ويستعرض الدكتور البهى الخطوط العريضة لحركة جمال الدين ، ويقارن بينها وبين حركة محمد بن عبد الوهاب ، من حيث طابع كل منهما ، ومن حيث الظروف العامة والخاصة لكل من الرائدين ، ثم ينتهى إلى أن حركة جمال الدين كانت رغم مظهرها السياسى حركة إسلامية الجوهر ، ويتحسس البهى فى نشاط جمال الدين الفكرى والعملى أصوله الإسلامية فيجدها واضحة فى دعوته للوحدة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية وفى هجومه على الاستعمار الغربى وبخاصة الإنجليزى ، ونقده لنظم الحكم الاستبدادى فى البلاد الإسلامية ، وفى دعوته إلى نبذ الخصومة بين المسلمين فى الأوطان الإسلامية وبين الشيعة والسنة فى العالم الإسلامى ، وفى نقده لمذهب الدهريين . إذ كان منهجه فى علاج مشكلات المسلمين بصفة عامة هو الرجوع إلى القرآن والدين .

وحين يقف الاستعمار الغربى ليراجع حساب أرباحه وخسائره فى سوق الفكر الإسلامى ، يجد أنه ليس ثم مناص من تصدير بضاعة فكرية جديدة إلى المسلمين وهكذا ظهرت « نزعة التجديد » فى الفكر الإسلامى بالدعوة إلى اصطناع المناهج الغربية فى تقييم أسس العقيدة الإسلامية ، وتقويمها على ضوء العلم الحديث ! !

وكان لابد لمصلح مثل محمد عبده من أن يرفع صوته فى مثل هذه الظروف بمبادئه الإصلاحية . . وقد استطاع محمد عبده أن يدرس الواقع الوطنى والقومى والاجتماعى والعقيدى والتربوى والتوجيهى للشعوب الإسلامية ، واستطاع أيضاً أن يضع منهجاً إصلاحياً مفصلا وشاملا لكل هذه الجوانب ، واستطاع آخر الأمر أن يخلق مدرسة فكرية ودينية وتربوية كان لها أثرها الواضح فى توجيه الحياة الفكرية فى العالم الإسلامى ، بل والحياة السياسية فيه بصفة عامة .

وتحت عنوان (التجديد فى الفكر الإسلامى) يأخذ الدكتور البهى فى الكشف عن اتجاه الفكر الإسلامى منذ بداية القرن العشرين ، فإذا هذا الاتجاه ينقسم إلى شعبتين : أولاهما : تستهدف التعبئة الروحية للإصلاح الدينى ، وتعلن الثانية ولاءها المطلق للمناهج الغربية ، فى الفكر والعمل على السواء . ويضرب مثلا لهذا النزع الأخير بكتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) للدكتور طه حسين .

ويكشف البهى عن مصدر هذا الفكر المستورد فإذا هو التفكير المادى الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، الذى يزدرى الروحية أو المثالية الإنسانية ، ويحتفل بالقوة المادية دون غيرها ، وتنفيذاً لوصايا هذه الفلسفة المادية وبدافع من الحقد الصليبى يمضى الاستشراق فى تشويه حقائق الإسلام ويتابعه فى خطوانه المجددون فى الفكر الإسلامى الحديث ! !

وفى سبيل إظهار الصلة بين الفكر الإسلامى الحديث والفكر الأوربى فى القرن التاسع عشر يتناول البهى بالعرض والتحليل فكرة (بشرية القرآن) من واقع كتاب (المذهب المحمدى) للمستشرق الإنجليزى (جب) وكتاب (الشعر الجاهلى) للدكتور طه حسين .

يرى « جب » أن مكة كانت ذات حضارة وزعامة دينية وأن سكانها كانوا متحضرين . . وأن حياة محمد كانت انعكاساً واضحاً لهذه البيئة وحيث أنها حياة معينة ومحدودة فدعوته لابد أن تكون كذلك معينة ومحدودة وليست عامة وهو فى دعوته الدينية وحكومته الإلهية قد استجاب لاتجاهات الحياة المكية من سياسية واقتصادية ودينية الخ !! وأن القرآن ليس جديداً كله على المكيين ، وفيه من المسيحية واليهودية

أشياء ، وهم حين عارضوه لم يكن ذلك لرفضهم فكرة الإيمان أو تمسكا منهم بتقاليدهم القديمة ، وإنما كان ذلك لأسباب اقتصادية وسياسية .. وإذن فالقرآن ـ عند « جب » ـ « انطباع » للظروف المحيطة بمحمد فى نفسه ! ! هو صنعة بشرية ، وليس وحياً من عند الله .

ثم يتتبع الدكتور البهى فكرة كتاب « الشعر الجاهلى » فى بعض نصوصه وتفاصيله لينتهى إلى أنه يلتقى مع كتاب « المذهب المحمدى » فيما ينادى به من مبدأ « بشرية القرآن » ! !

وتحت عنوان (الإسلام دين لا دولة) يتتبع البهى الأصول التاريخية لفكرة فصل الدين عن الدولة ، عند الغربيين ، فإذا هى ظروف مغايرة لواقع العالم الإسلامى ، فى ماضيه وحاضره ، بل إن ذلك الفصل الذى كانت تمليه طبيعة الدين المسيحى نفسه هناك تأباه طبيعة الإسلام هنا ؛ فنصوص القرآن لم تنصرف إلى العبادات والأخلاقيات فحسب ، بل عالجت أيضاً علاقات الأفراد فيما بينهم وعلاقات الجماعات الإسلامية بغيرها من الجماعات ، بمنهج تشريعى من الخصب والمرونة بحيث يستطيع أن يواجه حاجات البشرية المتطورة . . وإذن فتوقيت الجهاد بوقت الرسالة أو تفسيره على أنه رياضة نفسية أو روحية ، والإلحاح على أن الإسلام دين لا دولة . . كل أولئك محاولات لإهدار بعض هذا الدين وإهدار لاستقلال الجماعة الإسلامية وإلغاء لشخصيتها المتميزة .

ولما كانت هذه القضية الأخيرة . . قضية فصل الدين عن الدولة موضوع كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للأستاذ على عبد الرازق ، فقد تناول الدكتور البهى أفكاره الرئيسية بالعرض والتحليل ، ليدلل مرة أخرى على أن الفكر التجديدى الإسلامى الحديث ، إنما هو ظل وامتداد للفكر الغربى فى القرن التاسع عشر ! ! . فكتاب « الإسلام وأصول الحكم » يعتنق مبدأ « مثنوية الإنسان » إلى روح وجسد ، على الرغم من رفض العلم الحديث لهذا المبدأ ! ! وذلك ليسلب الإسلام ولايته السياسية ويقصره فقط على ما يسميه « ولاية القلب » ! ! وفى سبيل دعم هذه الفكرة يمضى الكتاب فى تأويل بعض الآيات بما يستقيم مع منهجه ، وقد يجد نفسه

أحياناً مضطراً إلى التوفيق بين الرأيين المتناقضين . . فهو يرى أن ما فى الإسلام من نظم سياسية أو حكومية ليست من جوهره ، وإنما هى من ملحقاته باعتبارها من مستلزمات « الزعامة النبوية » ! ! وإذن فالجهاد لم يكن شعيرة أو فريضة دينية ، وإنما كان وسيلة من وسائل تدعيم الملك الدنيوى ، وتنتهى كل مظاهر هذا الملك والسلطان بانتهاء « الزعامة النبوية » حين يلحق الرسول بربه ! ! ولا يبقى بعد ذلك إلا حكم مدنى أو سياسى وإن شئت لا دينى ! ! وهذا لا ينفى - فى نظر الأستاذ عبد الرازق - قيام وحدة دينية تنتظم البشرية كلها ! !

ثم يأتى دور الفكرة القائلة إن (الدين خرافة) ليتتبع البهى جذورها التاريخية الضاربة فى أعماق القرن التاسع عشر ، بل إلى ما قبل ذلك بقرون ، وإذا هو يرجعها إلى المذهبين الاسمى والتجريبى . أما الاسمى فيفرق الألفاظ من حيث دلالتها إلى تلك التى تعنى كائناً يشاهد ويحس - وهى الألفاظ الدالة على الأشخاص - وتلك التى لامجال لها إلا التصور الذهنى فحسب - وهى الألفاظ الدالة على الأنواع والأجناس - وحيث أن لفظ « الله » ليس من هذه ولا من تلك فإن مجاله هو الإيمان والاعتقاد وليس البحث العقلى الجدلى الإنسانى .

أما المذهب التجريبى فيرى أن مصدر المعرفة اليقينية الحقيقية ، هو التجربة الحسية وحدها ، أما محاولة البحث عن الحقيقة فيما وراء الظواهر الطبيعية الحسية فعبث لا طائل تحته ! ! ثم ينتهى المذهب التجريبى على يد « كومت » الفرنسى إلى مدرسة تدعو إلى المذهب الوضعى الذى يرى أن الفلسفة يجب أن تمر بمراحل ثلاثة : أولها : رد علل الأشياء إلى القوى الخارجة عن الطبيعة وهى القوى الإلهية . والثانية مرحلة البحث النظرى التصورى الخالص ثم مرحلة البحث التجريبى الوضعى آخر الأمر ، وعلى الإنسان أن يبدأ من ذاته إلى الجماعة بحيث يكون إلهه المجتمع والطبيعة !!

ويلاحظ الدكتور البهى ، بعد أن يستعرض محاولات الإصلاح الدينى فى فكر فلاسفة القرنين السابع عشر والتاسع عشر ، أنها كانت تستهدف تخليص المسيحية مما علق بها من عقائد غير معقولة كعقيدة التثليث ، وألوهية عيسى ، وعصمة البابا ، وأنهم بصفة عامة لم ينقضوا الإيمان فى ذاته .

أما المجددون عندنا فإنهم « كدون كيشوت » يحاربون أشباحاً لا وجود لها إلا فى تصورهم !!

وتحت عنوان (الدين مخدر) راح الدكتور محمد البهى يرصد الإرهاصات الفكرية التى تقدمت فلسفة ماركس ، ثم مضى يعرض أصول فلسفته ، ويحلل عناصرها .

وقد كنت أود أن أعرض بدورى دراسته القيمة فى هذا الفصل وما يليه من فصول بيد أن الحديث قد جاوز ما كنت أقدر له من مجال — وأرجو أن تواتينى فرصة دراسة (الدين مخدر) وكذلك الفصل الذى عقده عن فلسفة إقبال فى عدد قادم لما يتميزان به من عمق فى التفكير ، وإحاطة فى البحث .

وبعد فإذا كان هذا الكتاب قد جنح فى بعض صفحاته إلى ما يشبه التحامل ، أو بالأقل الانفعال ، وخاصة فى مناقشة كتاب (الشعر الجاهلى) للدكتور طه حسين ، فانا نحمد للدكتور محمد البهى استجابته السريعة لطبيعة العالم فى أعماقه ، فكان موضوعيا فى سائر كتابه ، ولهذا استطاع — بحق — أن يقدم مثلا جيداً للدراسات الجادة المستنيرة إلى المكتبة الإسلامية .

افتقار الخلق إلى مواهب الحق

للأستاذ السيد محمد عبد الشافعى

لقد نطقت آيات الكتاب الكريم بما للمنعم سبحانه وتعالى من هبات لا تحصى إذ أنه جل شأنه من جليل صفاته أنه الوهاب الكريم و « وهاب » صيغة مبالغة تفيد دوام الفعل منه سبحانه والهبة : عطاء الجزيل من النعم بغير عوض ، ولذلك اختص به الحق تبارك وتعالى على وجه الحقيقة دون سواه ، إذ أنه ما فى عبد من العباد أجرى على يديه عطاء أو إحسان إلا وله فيه غاية وعلة وهى إما ثناء عاجل وإما ثواب آجل ومن أحسن إليك لتكون أنت طريقاً موصلا لمضاعفة الإحسان إنما هو فى الحقيقة محسن إلى نفسه ؛ قال تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » فالمحسن فى الحقيقة هو الله وحده ، وإن ظهر إحسان على يد غيره فهو المجاز .

أما الفقر : فهو فقدان ما أنت محتاج إليه - ويمكن تقسيم ما يحتاج المرء إليه بعد إيجاده على وجه الإجمال إلى أربعة :

(١) وجود يكون به قوامه .

(٢) رزق يتناسب مع نشأته الكونية ، ليكون وسيلة له فى القيام بما خلق من أجله أو ما خلق له .

(٣) شريعة من ربه تكون بها هدايته لمعرفة خالقه ، وتنتظم بها صلاته مع أبناء جنسه وعالمه .

(٤) توفيق للأخذ بأحكام هذه الشريعة ليتحقق له المقصود منها .

أما الأمر الأول : فذلك لأن الإنسان من جملة الممكنات ، والممكن لا وجود ولا عدم له من ذاته — ومن كان كذلك كانت الذاتية لغيره ، وليست هذه الذاتية

إلا لواجب الوجود سبحانه ، القائم بنفسه والمقوم لغيره. وإذا كان الوجود فى الإنسان ليس له من ذاته من حيث هو، كان فى غاية الفاقة والافتقار إلى مابه قوامه ، ولاقوام له إلا بواجب الوجود قيوم السموات والأرض ، ولاشك أن المرء إذا استشعر ذلك فى نفسه أدرك مدى مايكون قرب الحق منه . وشهود القرب منة وهبها الحق لك منذ افتقارك الذاتى إليه . فاكرم المتصدقين من وهبك من وجوده ما تقوم أنت به .

أما الأمر الثانى : وأعنى به الرزق — فقد اقتضت حكمة ربك سبحانه وتعالى أن تكون العلة الغائية للايجاد هى الإنسان ، وقد استلزم بقاء المرء على شاكلته هذه التى خلق عليها خلق العالم ، فالعالم وما حوى فى الحقيقة وسلة فى بقائه . وقد بين لنا ذلك كله كتاب الله تعالى حيث قال « خلق لكم ما فى الأرض جميعاً — وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » ، فما من ذرة فى الكون إلا وهى قائمة بوجه من النفع لك ، كما أنها مرتبطة بغيرها فهى مقيدة للغير مستفيدة من الغير وذلك لارتباط جزئيات الوجود بعضها ببعض ، والكل وسيلة فى بقاء المرء ، كما أن الكل مستمر له . لذلك كان الكل نعمة قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) ولا شك أن احتياج ذات المرء إلى هذه النعمة أمر لازم لاينفك عنه بحكم النشأة والطبيعة ، ولذلك كان الرزق مضمونا له ، طالما أن إرادة الله متعلقة ببقائه ، قال تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما إنكم تنطقون) وقال تعالى (ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) فالإنسان مفتقر إلى الله بذاته والافتقار الذاتى يقتضى نعمتين دائمتين مادام المفتقر باقيا ، وهما : نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد وقد تحقق ذلك فيما تفضل به عليك فى وجود كان به قوامك ، وما أمدك به بعد ذلك من نعم : كل ذلك متعلق بوجودك وشخصك .

أما الأمر الثالث : فهو ما يتعلق بروحك ومعناك فكما أن للجسد إمداد حسى يتناسب معه فكذلك للروح إمداد معنوى آخر يتناسب مع طبيعتها وما تترتب من أجله ، ذلك الإمداد هو نور المعرفة بالله تعالى وأحكامه ، وهو المعبر عنه بالشرع الذى حدد لها طريق الهدى ، وأبان لها مايجب عليها نحو ربها الوهاب وخلقه

وانعقدت به الصلة بينها وبينه سبحانه على وجه يليق باستعدادها وكمال الله اللائق بذاته . وذلك لأن الروح وإن كان بها الإدراك إلا أنها ليست لها الهداية فى ذاتها وإنما الهدى هدى الله يهدى به من يشاء ، فلو أن الحق سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأمده بكل هذه النعم الحسية الظاهرة ولم يتفضل عليه بما يهتدى به إليه لظل المرء حائراً فى ضلالة ، ولبغى بعض العباد على بعض ، وفسدت الأرض ومن عليها وليس ذلك هو المراد من إيجاد الكل . من أجل ذلك جاءت الشريعة ، بل جاء النور الإلهى لتبيان حقائق الأمور على ماهى عليه ، وإلزام الفرد بما يجب عليه نحو ربه ، والآخرين من أبناء جنسه ، فتم للروح الهدى وتحققت السلامة لكل فرد من شر كل فرد ، فحفظ الكون وتحققت الغاية من الإيجاد على النحو الذى أراده من خلقه ، فكان ذلك الفعل منه سبحانه إسباغ لنعمه الظاهرة والباطنة على عبده .

أما الأمر الرابع : فاننا إذا نظرنا بعد ذلك بعين التأمل وجدنا أن الناس منهم من استجاب لله وللرسول حين دعاه إلى الهدى ومنهم من لم يستجب فحقت عليه الضلالة ولا شك أنه ما استجاب مستجيب لداعى الله بنفسه قط ، وإنما كان ذلك منه بتوفيق الحق له . قال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ماذكى منكم من أحد أبدا ولكن يذكى من يشاء) .

والتوفيق هذا — تفعيل من الموافقة . وله بداية ووسط ونهاية . بداية التوفيق إسلام . ووسط التوفيق إيمان . ونهاية التوفيق إحسان .

بداية التوفيق تحفظ الأبدان والأموال — ووسط التوفيق يحفظ القلب من ظلم الضلال والإضلال — ونهاية التوفيق تمتع الروح بمشاهدة ذى الجلال . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم — من ذلك كله يتبين لنا أن المرء حينما افتقر إلى مابه قوامه وهبه ربه الوجود ، وحينما افتقرت ذاته إلى مابه صلاحها وبقاؤها أمدها بالرزق ، وحينما افتقرت الروح إلى الهدى أمدها بنوره ، وحينما افتقر إلى كمال عناية ربه أمده بتوفيقه وإذا فلاشىء مطلقا أدعى إلى ورود المواهب عليك إلا تصحيح الفقر والفاقة لديك (إنما الصدقات للفقراء) والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

من روائع الشعر الصوفى

يقول ذو النون المصرى :

إذا ارتحل الكرام إليك يوما ... ليلتمسوك حالا بعد حال
فإن رحالنا حُطت رضاء ... بحكمك عن حُلول وارتحال
انخنا فى فنائك يا إلهى ... إليك مفوضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا ياذا المعالى

وله وهى من عيون شعره :

من لاذ بالله نجا بالله ... وسرهَ مرُ قضاء الله
إن لم تكن نفسى بكنف الله ... فكيف انقاد لحكم الله
لله انفاس جرت لله ... لاحول لى فيها بغير الله

ولأبى القاسم الجنيد :

ياموقد النار فى قلبى بقدرته ... لو شئت اطفأت عن قلبى بك النار
لاعار إن متُ من خوف ومن حذر ... على فعالك بى لاعارَ لاعارا

وله أيضاً :

مالى جُفيتُ وكنت لا أُجفى ... ودلائل الهجران لاتخفى ؟
وأراكَ تسقينى وتمزجنى ... ولقد عهدتكَ شاربى صرفا !

ويقول إبراهيم الخواص :

شَغلت قلبى عن الدنيا ولذتها ... فأنتَ فى القلب شىء غير مُفترقِ
وما تطابقت الأجفان عن سِنةٍ ... إلا وجدتك بين الجفن والحدق

وليوسف بن الحسين الرازى :

أحبُ من الإخوان كلَ مؤاتى ... وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أحبه ... ويحفظنى حيا وبعد وفاتى
فمن لى بهذا ليتنى قد وجدته ... فقاسمته مالى ومن حسناتى

أإله مع الله ؟!

للأستاذ محمود شلبي

آفة هذا الإنسان أنه لا يستطيع أن يؤمن بما غاب عن حسه وعينيه .

وذلك هو سر الخلاف الطويل العريض العميق حول مشكلة الألوهية وحقيقتها .

وزاد المشكلة خلافاً وتخبيطاً أن الله نفسه يتعالى عن كل ما يمكن للإنسان أن يتصوره .

فالمشكلة إذاً ذات شقين :

شقها الأول أن الإنسان لا يعتقد إلا بالمحسوس .

والشق الثانى أن الله نفسه أعلى من أفكار ذلك الإنسان .

وكلما طوت البشرية جيلا من عمرها ، لم تزدد فى ذلك الأمى إلا خلافا ، ولم تزدد من الله إلا بعداً !! .

وكان الظن بالإنسانية أن تفرغ من تلك المشكلة ، وتنتهى من تلك الجولة ، وتفصل فى القضية فصل المتيقن العارف ، إلا أنها لم تفصل ، وذهبت تزيد الأمر خلافاً وتضيف إليه ظلمات .

ومن كان فى شك فى هذا ، فليتقهقر إلى الوراء ، يوم أن خلق الله آدم ، فلينظر هل اهتدت البشرية إلى الحق من تلك القضية يوماً ما ؟ .

اللهم لا ... وذلك هو محصول الإنسان فى ماضيه ! .

وسوف يبقى الإنسان هكذا حتى تنتهى قصة الإنسان ، وتفنى هذه الحياة .

فهو فى ماضيه لم يفصل فى القضية ، وهو فى مستقبله سوف لا يفصل كذلك فيها .

فمتى إذاً يفصل هذا الإنسان فى أكبر قضية حيوية من قضاياه ... متى ؟ .

وإن هناك أقواما غرتهم الأمانى ومضوا مع أوهامهم .. يظنون أن الإنسان واصل يوماً ما إلى حقيقة الله ! .

والحق أن المشكلة كانت وسوف تكون لأن ذات الله نفسها أصل فى كينونتها .

فلو أن الله شىء محدود بحدود ، أو مقيد بأبعاد ، أو يمكن إدراكه ، أو يستطاع رؤيته ، لما اختلف البشر فيه ، ولأجمعوا عليه ، ولأصبح بديهة لاتقبل شكا ولا يدخل إليها جحود .

ولكن الله غير هذا كله ، وفوق ظنون البشر ، ومخالف لكل تفكير .... فما يكون إذاً ؟ .

لا يكون إلا أن يكون هو الله ....

وتلك هى العظمة الإلهية صدقاً وعدلا .

فلو أن الله شىء يدركه البصر ، أو تلحظه العين ، أو تسمعه الأذن ، أو تلمسه اليد ، لكرهه الإنسان ، ولما استطاع أن يعظمه .

ولكن الله فوق ما ندرك ، وغير ما نتصور ، ومن هنا يأتى التعظيم والتقديس والإجلال والإكبار .

والإنسان هو المحجوب عن ربه ، وليس الله هو المحجوب عن خلقه .

فلا يستطيع شىء حجب الله ، ولكن الله هو الذى يحجب الخلق عن ذاته .

فالله ظاهر باد لخلقه ، ولكن الناس هم الذين لا يبصرون .

ولكن الإنسان ما زال يسأل : فأين إذاً الله ؟ .

ولم يسمع حتى الآن جواباً عن سؤاله ، إلا ما ألقته إليه الكتب السماوية ، على لسان رسلها .

إلا أن الإنسان المطبوع على الجدال والخصام ، ما كان ليقتنع بما تقصه عليه كتب السماء .

فذهب يماري ، ويجادل ، ويشكك ، ويبتدع ، أفكاراً من عنده عن الله ربه .

فإذا استقصيت ما أخرجه الإنسان من أفكار نحو الله ، وجدتها تدور في فكرتين اثنتين .

إما أنه ينكر أصلا وجود الله ، وهذا مايسمى بالنكر أى الإنكار التام لفكرة وجود إله .

وإما أنه يعترف بوجود الله ، ولكنه يشرك معه شيئاً آخر ، وهو ما يسمى بالشرك .

أما الذين كفروا ، فؤلاء أغبى الناس ، لأنهم أرادوا أن يستريحوا من عناء التفكير ، فذهبوا إلى التطويح بالموضوع من أساسه .

فاعلنوها ورفعوا عقائرهم بها ، وقالوا لا إله هناك ، إنما هى الطبيعة ، وإنما هو التطور وليس وراء هذا الكون من شيء ، إن هى إلا بطون تدفع ، وقبور تبلع ، ولا يهلكنا إلا الدهر !! .

وانخدعت البشرية أجيالا وأمماً بتلك الصيحة ، واستكانت أعقابها إليها ، لأنه أيسر الطرق إلى الراحة ، وأسهل الوسائل إلى الاستراحة .

فيكفى أن يزعم المُتْلُّ منهم أن لا إله هناك ، ثم ينطلق كالبهيم يفعل ما يشاء .

وأما الآخرون . . . أولئك المشركون . . . فهم يقرون بوجود الله ، إلا أنهم يتخذون معه إلهاً ، كأن الله وحده لا يكفيهم ، أو لا يستطيع أن يقوم بما يريدون ، فيجعلون معه إلهاً يعينه على أداء مهمته !! .

وهؤلاء وإن كانوا دون الكافرين فى الغباء ، إلا أنهم فى الجهل بالله على حد سواء .

فما الذين يعتقدون بإلهين اثنين ، بخير من الذين يعتقدون أنه لا وجود للإله أصلا .

من أجل ذلك أعلن الله حكمه الفاصل على رءوس الخلائق فقال « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . . . » .

كيف يغفر الله لمن مات مشركا به ، وقد جاءه بشير عقيدة ، وهو بشركه يعلن عجز الله وحاجته إلى المعين ! .

ولأن ينكر الإنسان وجود الله ، خير من أن يجعل معه إلهاً آخر ؟ .

لأن الكافر ينكر ، ولكن المشرك يعترف ، ويجعل شيئاً يعينه .

وكلاهما غبي وجاهل .

وفريق المشركين فى هذه البشرية كثير وكثير . تجدهم دائماً فى كل زمان ومكان .

فمنهم من يجعل إلهه مع الله صنما .

ومنهم من يجعل ذلك الإله الثانى ملكا من الملائكة .

ومنهم من يجعله نبياً من الأنبياء .

ومنهم من يجعله ولياً من الأولياء .

ومنهم من يجعله هواه هو نفسه « واتخذ هواه » .

ومنهم ... ومنهم ... وكلهم جاهلون ضالون .

والحق من هذا كله أنه لا شريك هناك لله ، لأن الشريك لا بد أن يماثل شريكه وهذا باطل ، لأن الله ليس كمثله شيء .

فالذين كفروا والذين أشركوا سواء فى الجهل بالله .

لكن الذين آمنوا ، يؤمنون بالله ، منزها عن الشريك ، وعن المثيل ، وعن المعين ، وعن الولد ، وعن أى شيء .

هو عندهم ... الله الذى لا إله إلا هو ... وهو الذى ليس كمثله شيء وهو الذى تعالى عما يشركون علوا كبيرا ...

وذلك هو الحق من الإشكال ، وهو الحل لاختلاف الأيدى الذى فيه يشتجرون ؟.

الطريق الصوفى

• يقول سهل بن عبد الله التسترى . « أصولنا سبعة أشياء . التمسك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة وأداء الحقوق » .

• ويقول أبو أحمد القلانسى : بنيت أصول مذهبنا على ثلاث خصال : لا نطالب أحداً من الناس بواجب حقنا ، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس ، ونلزم أنفسنا التقصير فى جميع ما نأتيه » .

مسألة فى الذكر

• قال العلامة أبو نصر الطوسى : سمعت ابن سالم يقول : وسئل عن الذكر فقال : الذكر على ثلاث :

فذكر باللسان ، فذاك الحسنة بعشرة ، وذكر بالقلب ، فذاك الحسنة بسبعمائة ، وذكر لا يوزن ثوابه ، ولا يعد ، وهو الامتلاء من المحبة والحياء من قربه .

• وقيل لابن عطاء : ما يفعل الذكر بالسرائر ؟ فقال : ذكر الله تعالى إذا ورد على السرائر بإشراقه ، أزال البشرية فى الحقيقة برعوناتها .

• ويقول سهل بن عبد الله : ليس كل من ادعى الذكر فهو ذكر ، وحقيقة الذكر : هو تحقيق العلم بأن الله تعالى مشاهدك فتراه بقلبك قريباً منك ، وتستحى منه ثم تؤثره على نفسك وعلى أحوالك كلها .

الدين والحياة

للأستاذ حامد محمود الزفرى

ألست تذكر يوم كنا نبدى الإعجاب والحب لسلوك ذلك الرجل الانجليزى الذى . . كان فى زيارتى . إنه صاحب أدب جم وسمو خلق رفيع . إنه يعطف بحق على قضايا الحرية للشعوب والسلام للعالم .

إننى يوم كنت أتلقى العلم والدراسة فى لندن لم أر إلا نماذج من هذه الشخصيات صاحبة السلوك السوى ، والأدب الاجتماعى ، والحرية والنقد والحقوق الكاملة لكل مواطن يزاولها فى حياته الخاصة والعامة ، وفى مجال السياسة والتوجيه الدستورى .

إن الديمقراطية الانجليزية تقوم فى نفس كل فرد ويحيا بها الشعب . أذكر على سبيل المثال أنه فى حرب السويس يوم ركب إيدن رأسه قمنا نحن الطلبة الشرقيين بكتابة منشورات ننتقد فيها هذه التصرفات المتعجرفة فى عصر المدنية والحق أن كثيراً من السادة الأساتذة فى جامعتنا كانوا يشاركوننا الشعور بل كنا نلاحظ تأثرهم النفسى ومعاركهم المنطقية العنيفة ضد هذه الحرب الغاشمة .

ثم إن هذا السلوك السوى للفرد داخل فريقه وخارجها فى القطاعات الجماعية كالسياسة والتصنيع والإنتاج والتصوير والحقوق والحريات هـذا الضرب من القيادات الأوربية يصل بنا إلى غايات نبيلة وأهداف سعيدة رغم وجود الكنبسة والملكية فى هـذا البلد الديمقراطى ولكن ليست لهما إلا حق الوجود الأسمى والرمزى فقط .

ومن ذلك لا يكون ثمة حاجة إلى ربط السلوك الفردى والجماعى بالتنظيم الدينى . قلت نعم ياصديقى . إن الدين ليس هو بقايا النزعات المهلهلة ولا آراء البابوات الذين

أحرقوا المفكرين وأقاموا محاكم التفتيش وحجروا على العقل وليس هو إطلاق البخور وسبحات الترانيم وأصوات الترتيل .

الدين له طرق واضحة ومناهج محددة فى كتاب محفوظ لا يبلى على الدهر ثم هو ليس مفروضا من الخارج حتى يتنافى مع اتجاهات القوى البشرية البناءة فى حقل الوجود العام . بل هو تنظيم لهذه القوى حتى يعم خيرها وتكون السعادة الأبدية ، والرفاهية الوجودية .

إننا حينما ننظر إلى الإنسان فى بدء عهده بالأرض وقد رأى من حوله وفوقه ما رأى . وقارن بين ما كان وما آل إليه كل شىء حوله . فى هذا الموقف الذى أطلق فيه لفطرته الإنطلاق لم يرد من أن شيئاً عظيما وراءها فآمن بها وإن هو قد خانه الحظ فى الوصول إلى الحق .

وكلنا اليوم نؤمن بشىء عظيم وراء أشياء الوجود وإن بدت الطبيعة فى نظر الطبيعيين أو الدهر فى رأى الدهريين أو الوجود الإنسانى فى كليته فى نظر الوجوديين الخ هذه النزعات وما أشبه اليوم بالبارحة . إن هذا السلوك الإيمانى بقوى الطبيعة أو حقوق الإنسان أو الدهر هو اتجاه فطرى وغريزة الوجدان البشرى . وتاريخ الأديان حافل بالآلهة الأرضية والأجرام السماوية والحيوانات والأوهام والخرافات . والتاريخ الحديث يعج بالنحل الإيمانية المتعددة .

وكل هذا إن دل على شىء فإنما يدل على أصالة الإيمان المطلق فى النفس ، والاتجاه الاعتقادى فى البشر . وما ذلك إلا إستجابة لطبيعة الوجود . ومن هنا لم تتخل السماء عن إرشاد الإنسان وتنظيم هذه الاستجابة .

« يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » أيها الإنسان الباحث عن موقفك تجاه أحداث الحياة ، يا بنى آدم . الضاربين فى مجاهل الوجود لتصلوا أنفسكم برب هذا الوجود . . أيها الناس جميعا . أعبدوا ربكم . صلوا أنفسكم به . وكونوا له عباداً . هو وحده فقط . ذلك لأنه هو الذى خلقكم وأنشأكم بالوسائل الطبيعية والطرق الإلهية . والدقة الربانية . وكذلك الذين من قبلكم كانوا على هذا الضرب من الايجاد . وبهذا تتقون الوقوع فى خطأ الاعتقاد

المردى والفعل المزرى والعمل المتخبط والسلوك الضال . إن هذا التنظيم لغريزة الإيمان وقاية من الزلل وعصمة من الشطط . إنه أمن قلبي للاعتقاد والربط المتين بين الإنسان وإله واحد . « أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وعن هذا الأمن القلبي فى العقيدة ينبع الأمن على المال بطريقة تنظيمية معينة . فى الكسب والانفاق . والربح والتجارة وأمن على العقل باتباع الكشف عن قواه وتوجيهها للبحث وصيانته عن كل ما يعرضه للانكماش والتدهور كالخمر مثلا . وأمن فى القول والفعل والاتجاه والحياة والوجود .

ليس إيمانا شيوعياً بالمال والثورة وإراقة الدماء فى سبيل حماية رأى أو آراء لأفراد ، وليس إيمانا وجودياً بالإنسان وشهواته وإطلاق قواه الشريرة ، وإغفال جانبه الوجدانى القلبي فى مجال الألوهية وكشف الملكوت ولا إيمانا مسيحياً تتقاذفه أهواء القسس وآراء البابوات وآيات الأناجيل المتعددة المتضاربة فى كثير من الأحيان. وليس إيمانا ديمقراطيا فى حقل التعامل البسيط لقوى الإنسان الهائلة ، وعلى الأخص الجانب السياسى فقط . وليس إيمانا يهوديا يقوم على التعصب والجنس والمادة والجهالة الشريرة .

إنما نتائج هذا الإيمان الضال فى شتى الاتجاهات قديمة وحديثة لا تورث البشرية إلا الحرب والدمار والخراب . ثم أرنى يا صديقى نتيجة عادت على الإنسان بالرفاهية والسعادة من وراء هذا الإيمان الضال .

لقد رأينا إيمان المغول وعقيدتهم (الشومانية) علوية وسفلية إنما كانت سبباً فى ضياع هذه القوى الهائلة لجماعة ضخمة من الناس فلم تنجب حضارة ولم تلد مدنية . بل من المعروف أن الدين الإسلامى رغم أنه كان مغزوا من المغول أنفسهم حينذاك استطاع أن يتسرب إلى هذه القلوب الخشنة فيرققها . والنفوس الجافة فينعشها ، وتقوم الدولة التركية التى انحدرت من هؤلاء المغول على أساسه .

وفى العصر الحديث لم نر أثراً لهذا الإيمان الشيوعى أو الوجودى إلا الهزة النفسية العنيفة التى مزقت أوصال النفوس وأزعجت القلوب وجعلت الأعصاب متوترة والحروب الباردة والساخنة قائمة . أما هذه المظاهر المدنية أو الصورة الحضارية الآن

فإن جذورها ترجع إلى نفحة الإيمان الإسلامى التى هبت على القرب من شواطىء إيطاليا وصقلية والأندلس وجنوب فرنسا وأواسط أوربا فى فينا إن هذه المدنية المعاصرة ليست من صنع الإيمان بعقائد اليوم . بل هى نتيجة الكشوف العلمية والاتجاه الصناعى والتحرر العقلى الذى دفع البشرية إليه إيمان المسلمين فى القرون الوسطى . لذلك نلاحظ أنها بعد أن خلت من الإيمان صارت حافة صاهدة لا روح ولا ريحان لها . والربط بين المدنية والايمان حقيقة تاريخية فى الدين الإسلامى وإن لم تظهر فى الأديان الأخرى بسبب التلاعب الذى قام به رجال هذه الأديان كاليهودية والمسيحية السابقتين للإسلام فى الظهور .

والإيمان بهذه المذاهب المعاصرة لا نتائج إنسانية له ولا مدنية فيه ولا تراثا إنسانياً يورث عنه . ولولا قوة الحديد والنار لمانت الشيوعية . ولولا استعمار الاستهتار لماوجدت الوجودية . ولولا الأنانيةالاقتصادية والنزعة الصهيونية لما كانت الديمقراطية المضللة للغرب وأمريكا .

أرأيت يا صديق كيف نظم الدين الاستجابة الفطرية للاعتقاد وكيف أنه لم يكن قلبياً فحسب . بل فى كل مرافق الإنسان وقواه حتى تكون الحضارة والمدنية وإثراء البشرية بالعمران والازدهار والسلام .

وهذا الربط بين الإيمان والسلوك هو الذى ينمى الخير فى الفرد ويحفظ عليه ذاته الوجودية ويعطيه حقه فى الأبدية . ومن ذلك يكون السلوك الحسن الذى يتفق والأخلاق ولكنه لا يرتبط بالإيمان والعقيدة المستقيمة الواضحة ولا تنعشه نسمات الإيمان الرطبة الحبيبة .

هذا السلوك وإن بدا سويا فمثله كمثل التمثال الحجرى ولو كان من عمل بيكاسو . أما السلوك القيم حقيقة المرتبط بالإيمان الصحيح . فهو كالحقيقة الحية الواعية . الأول جاف صلب مهما بدت فيه الفنية وشاع الجمال . والثانى جميل حى عامل داع .

ومن هنا ياصديق لا نستطيع أن نفصل بين الدين كحقيقة كونية كبرى أنزلها رب الوجود لتنقش بها النفوس وتحيا القلوب ويكون العمران وتولد المدنية وبين السلوك القيم .

وسلوك الانجليزى هذا الغير مرتبط بالدين مهما بدت مثاليته وعظمت صورته مثله كمثل النمثال .

وهل كانت خلقية هذا الانجليزى عاصمة له عن الاستعمار وامتصاص دم الآدميين ؟ وهل مدنية الرجل الأبيض الآن وما تقوم به من أعمال وحشية هى الأخرى من مستلزمات خلقيتهم الرفيعة ؟ وهل سمعت بما يدور فى أفريقية . فى الجزائر والكونغو تلكم البلاد الأرضية لا المريخية . والسكان البشريين . لا الحيوانات ؟

ماذا وراء هذه المظاهرة الضخمة من الثورات الجانة . الجفة من الرباط الإنسانى الذى ينبع من القلب . إنه الإيمان بالإنسانية الذى ينبع من الإيمان برب الإنسانية . إنهما شىء واحد . وهل سمعت بقول نبى الدين الإسلامى الذى يحدد فيه الإنسانية ما صدق للإيمان العام . فبينا هو جالس فى صحابته . إذا به يقول . والله لا يؤمن ويكررها ثلاثا . فيقولون له ومن هو يارسول الله . فيقول والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وهكذا ياصديق كان الإيمان القيم والتنظيم القويم لاستجابة الإنسان للحياة فى رسالة الإسلام المسطورة فى القرآن الكريم .

وإلى اللقاء فى مقال قادم إن شاء الله ؟

كلمات صوفية

• قال رجل لإبراهيم بن أدهم : قال الله عز وجل : « أدعونى أستجب لكم » فما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟

قال : من أجل خمسة أشياء ، قيل : وما هى ؟ قال : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه ، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه ، وقلتم نحب الرسول وتركتم سنته ، وقلتم نلعن إبليس وأطعتموه ، والخامسة تركتم عيوبكم وأخذتم فى عيوب الناس .

• سئل أبو الحسن النورى عن التصوف ، فقال : ليس التصوف رسوماً ولا علوماً ، ولكنه أخلاق .

• يقول الصوفية : حقيقة الذكر أن تنسى ماسوى المذكور فى الذكر ، لقوله تعالى : « واذكر ربك إذا نسيت » يعنى إذا نسيت ماسوى الله فقد ذكرت الله .

ويقول الحلاج : الذكر طرد الغفلة فإذا ارتفعت الغفلة فأنت ذاكر وإن سكت .

• قال الجنيد : الزهد خلو القلوب من التتبع ، وقال مسروق : الزاهد الذى لا يملكه مع الله سبب ، وسئل الشبلى عن الزهد ، فقال : فى ماذا ؟ فى أقل من جناح بعوضة ؟ !!

• يقول إبراهيم الدسوقى : « لا يكمل الصوفى حتى يكون محباً للناس ، مشفقاً عليهم ، ساتراً لعوراتهم ، قائماً بحاجاتهم ، فإن ادعى الكمال وهو على خلاف ذلك فهو كاذب .

• يقول الحلاج : « إذا ألف القلب الإعراض عن الله تعالى ، أورثه الوقيعة فى أولياء الله تعالى .

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

مقام محمد ، وقمة المعراج ، ونور الله

للأستاذ حسنى طه شكيبانه

٣

ذلكم الوجود ... وهذا محمد وكتابه ...

ذلكم الوجود كون يتعرف على مكوّنه الأعظم .

ومحمد روح هذا الكون ، وكتابه نبراسه الهادى ... إلى الله رب العالمين :

قال رب الكون عن محمد وكتابه : « وما أرسلناك إلى رحمة للعالمين ... » ، « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ... صراط الله ... الذى له ملك السموات والأرض الا إلى الله تصير الأمور » .

فلا جرم يكون مقام رحمة العالمين قمة الوجود وروح الموجود المتخلل فى أعماقه ولا جرم يكون كتابه النور الهادى إلى رب الوجود العظيم .

ولا جرم يكون الإسراء والمعراج كشفاً للغطاء عن الحقيقة القائمة بكيان محمد الكريم ؛ فكيانه رحمة الوجود وقمته ، كشف الغطاء ، أم لم يكشف ...

ولنحاول بسط هذه القضية فى أسلوب منطقى لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً .

إن صفحات الوجود أربع تتحدث عن الخلاق الأعظم بأروع بيان وأجل حكمة صفحة الأرض والسماء وما فيهما ومن فيهما قائمة فى ملك ظاهر وملكوت خفى .. فيما نعلم ...

وصفحة الحياة فى كائنات اتخذت أجل مظهر لها فى الإنسان سيد الكائنات فيما نعلم . . .

وصفحة القيادة نحو رب الوجود عوداً به إلى مصدره ، ودلالة له على رب نعمته فى كيان محمد أكمل قائد فيما نعلم . . .

وصفحة الحكمة الهادية ، والبيان الرائع الذى يرسم الطريق إلى رب الوجود فى آيات القرآن الكريم أجل كتاب فيما نعلم ويعلم الوجود . . .

صفحة الكون ورب الكون . . .

لقد كان الله العظيم ولا شيء معه ، فأحبت ذاته أن تعلن عن صفات جلالها وجمالها وأن تقدس ذاته ، وتحمد صفاته ، فخلق الكون صورة رائعة من حكمته ، وصفحة ناطقة بجلال وجهه وعظيم سلطانه وبالغ أمره . . .

كون متلاطم لا تدرك جوانبه ، ولا يحاط بأسرار ، وتنبهر له أكبر العقول من أصغر ذرة فيه إلى أكبر مجرة فى فضائه ، مسخر أتم نظام ، وأدق صورة فى أسلوب واحد متناسق من ذرته لمجرته ، مودع فيه من الطاقات ما يحير الفكر البشرى كله من أصغر هباءة لا ترى . . إلى أكبر سديم لا يدرك . . .

فلا جرم تكون صفة هذا الكون دلالة جليلة على القدرة التى سطرتها على أبدع نظام ، ناطقة بصورة هذه الربانية المبدعة . . .

« قل : لمن الأرض ومن فيها ؟ . . إن كنتم تعلمون . . سيقولون لله . . قل أفلا تذكرون .

« قل مَنْ رب السموات السبع ورب العرش العظيم . . سيقولون لله . . قل أفلا تتقون » .

« قل مَنْ بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . . سيقولون لله . . . » .

« ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة . . . » .

وصدق الحكيم القائل : وفى كل شيء له آية . . تدل على أنه الواحد .

فتبارك الله أحسن الخالقين . . وتبارك الله رب العالمين . . .

والكون العظيم الذى رأيناه من قبل فى أرض وسموات إنما هو مسخر لحياة - ومجال لتفكير ، ومحراب لعبادة . . .

والحياة حيوات . . أجلها وأروعها فيما نعلم — حياة الإنسان — خليفة الله الأكبر فى أرضه ، ومخلوق الرب لذاته ، وضيف الكريم فى جناته . . .

وحياة الإنسان صفحة الخلاق الجامعة لأسرار الوجود . . ظهرت واستترت ، ظهرت كياناً من الطين مشرقاً جامعاً لعناصر الكون . . .

وبطنت فى عقل يزن الوجود ، ونفس تنجذب لأعماق الوجود فتشعر به وروح هى سر الوجود ونور الوجود . . .

فإذا كانت كائنات علوية قد استترت . . أو فى المادة — جنت واختفت (وهو كذلك) فإنسان الأرض أجل من هذه قدراً ومن تلك ؛ لأنه الكيان الذى ظهر وبطن . . . وفى ظهوره جمال . . وفى بطونه روعة وجلال . . .

فهو بذلك من أروع صفحات الخلاق الدالة على صفات قدرته ، وبالغ حكمته ، وجليل قدره ، تقرأ فيها كل المقول مقالة الرب الأكرم :

« إنى جاعل فى الأرض خليفة : . . » لتعلم أنه المراد دون سواه ممن ظهر أو بطن فهو الخليفة الأكبر عن الله العظيم فى عمار الوجود وحضارته . . . أو تقرأ :

« جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

« يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » . لتعلم أنه الضيف الأول فى دار كرامة الله ورضوانه . . .

ومن هنا سخر له الكون فى الدنيا : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه . . . إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

سُخِّر له ملائكة الكون الأعلون . . وجنُّ الأرض العاقلون ، مردة وصالحين « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحن بحمد ربهم ويستغفرون

لمن فى الأرض ...» ، « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ..» أو « ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات . . اعملوا آل داود شكراً ..» ، « ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين » ، « هـذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » . أما سر ذلك ففى قول الخلاق العظيم عن الإنسان « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ؛ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ...» .

ومن قبس الحق فيه كان خليفة أكبر ، وكان صفحة رائعة لرب الوجود ناطقة بعظمة رب الوجود ، ولأمر ما قال حكيم الصوفية على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) :

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر ...

وقال الصوفية الكرام : ما ظهر الله فى شىء كظهوره فى الإنسان ..» ففيه التقت تجليات الحق وصفاته ... فتبارك الله أحسن الخالقين ...

صفوة الكمال الحى وقيادة الحياة لرب الحياة :

والكون المسخر ، والحيوات المسبحة بحمد خلاقها ، المقدسة لذاته تعالى لا تعرف قائداً أجل من محمد الكريم فهو مثال الكمال الحى القائد لجميع الحيوات فى معراج الرقى نحو الخلاق العظيم ..

فهو وإن كان صورة من كتاب الحياة . . إلا أنه اختص بنورانية هذه الحياة فجاء عنواناً على رب الحياة ، ومظهراً أجل لرحمانيته البالغة . .

فهو نموذج الكمال فى خلق وفى تفكير ، وفى علم وفى عمل ، وفى نفع وفى إصلاح وجاء صاحب أروع رسالة هادية إلى رب الوجود . . .

ولهذا — وغيره — كان مظهراً للقدرة الربانية فى فعل وتدبير :

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . . .

وللحكمة الربانية فى قضاء وتقدير : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليما .

والنور الربانى فى هداية وقيادة ، ودعوة :

يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً

ثم جاء يحمل صورة الأمر الربانى تنفيذاً وسلطانا :

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

ويحمل الحب الإلهى تقرباً واقتداء : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . فأصبح لهذا صورة للرحمة المحيطة بالوجود ، المتخللة لكل الوجود ، الرائدة لكل الوجود . . قال تعالى :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . . . » ، « وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » وقال عن نفسه : « إنما أنا رحمة مهداة . . . إنما أنا قاسم والله يعطى . . . » وكما حمل لواء القيادة فى الدنيا . . حمل لواء القيادة فى الآخرة للوجود وللنبيين « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، « فكيف إذا جئنا من أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ، « ويوم نبعث فى كل شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ، ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

وفى ذلك يقول هو :

« أنا أول الأنبيـــاء خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا .

لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر » .

أو قوله : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » .

بل هو صاحب ذلك المقام منذ بدء الوجود . . صورة . . ومنذ الأزل فى علم رب الوجود واصطفائه . . حقيقة . . قال تعالى : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمن به ولتنصرنه . . قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ . قالوا : أقررنا . . قال : فاشهدوا . . وأنا معكم من الشاهدين .

فإذا كان الوجود مظهراً لقدرة الله

وإذا كانت الحياة مظهراً لحكمة الله . . .

فقد جاء محمد بأمر الله سر هذه الحياة ورحمتها . . وفائدها وكمالها : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . . » ، « وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » .

ومن هذا كان أعلم كائن بصفات الله العظيم وأجلهم منه قربا . . قال تعالى : وأنزل عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما.

وقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء . . . وقال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط . . لا إله إلا هو العزيز الحكيم » . « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

وقال هو نفسه : « أنا أعلمكم بالله » . . . « أنا أخشاكم لله وأتقاكم له » .

ومن هنا كان صاحب الإسم الثانى فى كل الوجود . . منطلقاً فى كل الوجود :

قال تعالى : « ورفعنا لك ذكرك . . . » فما يذكر الله فى عبادة وصلاة مرفوعة إليه من أهل الأرض أو من أهل السموات حتى يذكر معه حبيبه محمد . . . فى أذان وإقامة . . الله أكبر الله أكبر . . . أشهد إلا إله إلا الله . . أشهد أن محمداً رسول الله . . .

وفى ختام صلاة : التحيات لله ، والصلوات والطيبات لله . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . . . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . . أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . .

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد » .

وفى وسط الصلاة حين يمجدون اسم الله واسم رسوله . مثل : محمد رسول الله والذين معه . . « . . . ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا : حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله . . إنا إلى الله راغبون . . » ، « . . . وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله . . . » . « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً » .

فلا جرم يكون مظهر الحق والرحمة فى كل الوجود : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . . . » .

مقام محمد فى قمة المعراج . . .

فإذا قال الصوفية الكرام — أصحاب البصائر — إن إسراء رسول الله الكريم من مكة إلى بيت المقدس حيث صلى بالأنبياء فى كوكب تكريم الملك وإن معراج رسول الله حيث بلغ سدرة المنتهى فى موكب تكريم الملكوت ثم ما فوقها إلى مقام قاب قوسين أو أدنى حيث تجلى عليه ربه فأراه من آياته الكبرى ، فما زاغ بصره وما طغى وما كذب فؤاده ما رأى . . . إذ قالوا : إن ذلك تم لرسول الله العظيم فى أتم يقظة ، وأبلغ إدراك ، وأجل معرفة ، وإحاطة بكيانه كله . . : —

فما بعدوا عن الحقيقة . . وما جاءوا بجديد غير أنهم كشفوا الحجب عن العقول بنور توفيق ألا لترى حقيقة الكيان المحمدى فى كل الوجود من حكمة رب الوجود فى كتابه العظيم :

فالكون صنعه الله للإنسان ، والإنسان صنعه الله لذاته ، ومحمد رحمة الله الكبرى للكون وللإنسان ولكل الحيوات . . فمقامه من فوق الوجود . . من الفراش إلى العرش . . . .

ليرى من آيات ربه الكبرى . . فهو أجل عليم بالله . . « أنا أعلمكم بالله » . وأقرب كائن إلى الله فهو صورة من صورته وقدرته :

« وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى . . » ، « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » . « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » فإن علم أو أبصر فبجماع ذاته يدرك : « ما كذب الفؤاد ما رأى . . ما زاغ البصر وما طغى . . . ليريه من آياته إنه هو السميع البصير » . وما يحجب عن النور الذاتى وهو شعاعه الهادى إليه ولذلك قال عند ما سئل أرأيت ربك . . قال : « رأيت نوراً . . . » . فاللهم أكرمنا بنور محبتك وقربك . والصلاة والسلام على حبيب الرحمن فى ذكرى إسرائه ومعراجه الكريم .

فمعراجه قائم فى كيانه المحيط بالوجود رحمة من ربه . . . الهادى للوجود إلى الله بإذن ربه . . وإنما كشفت الآيات الكريمة لمن أراد عن بعض الكيان المحمدى فى حضرة الرب الأعظم .

ظهور الاسلام

للمستشرق الإنجليزى (ستيفن رانسيمان)

عرضه الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(٢)

امبراطورية الروم :

كانت هناك محاولات فى فن السياسة فى عصور ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام ، وكان أكبر هذه المحاولات وأعظمها الامبراطورية الرومانية ، ولكنها كانت محاولة فجة وتجربة ناقصة يعوزها الاحكام والسلامة ، من ذلك أنها ضمت مجموعة من الأقاليم المتباينة الثقافة ذات الأحوال الاجتماعية والاقتصادية المختلفة من منطقة عنها فى مطقة أخرى .

فالأقاليم الشرقية كمصر والشام مثلا لم تخضع كل الخضوع ، بل كانت سلطة الرومان عليها سلطة سطحية ، ومثل هذا يصدق على المدن الكبيرة التى سبق أن بناها المقدونيون ، كالاسكندرية وانطاكيا ، فإنها كانت تسير فى حياتها على النهج الاغريقى .

وفوق ذلك فإن البلاد الداخلية كانت تحيا حياة بعيدة كل البعد عن حياة الحكام تعتمد على الأوضاع القديمة وتتكلم لغات غير لغات الرومان والاغريق .

ومن وقت لآخر كانت تظهر الروح القومية الكامنة فى النفوس ، وليس أدل على ذلك من الثورات والحروب التى قام بها اليهود ومن الحياة المستقلة التى كانت تحياها المملكة (زنوبيا) .

من كل هذا يمكننا أن نقول إن الحكم الرومانى كان مفروضا على هذه البلاد

فوق طبقة سطحية من (الاغريقية) ولـكنه كان حكما وفر لها قوة حربية كبيرة استطاعت بها أن تحمى حدودها كما وفر لها قانونا يدعو إلى الإعجاب .

وبرغم ما بذل من مجهود فإن الإدارة الاقليمية كانت غير قادرة على إخضاع الأهالى لإرادتها فى كثير من الأحيان ، وكان الفساد ينتشر فيها إنتشاراً كبيراً كما كانت الحيـاة نفسها شاقة وعسيرة ، إلا على ذوى الثروات العظيمة من السراة والأغنياء .

ولم تدرك روما أن إصلاح الأحوال الاقتصادية فى البلاد التابعة لها من مصلحة الدولة الحاكمة ، لذلك لم تهتم بإصلاح شىء من أحوال هذه البلاد بل كانت تنظر إلى هذه البلاد على أنهـا بقرة حلوب يجب عليها أن تدفع أكبر قدر مستطاع من الضرائب إلى حاشية الامبراطور والامبراطور نفسه الذى لم تـكن هذه البلاد قدر رأته قط ، وأن تنفق على جيش طويل عريض لافائدة تعود عليها من تقويته وإعداده .

وعلى مر الزمن إزدادت الحالة الاقتصادية سوءا .

ولما كانت مصر والشام اقليمين غنيين بخيراتهما فقد تحملا قدراً كبيراً من الضرائب وقاسيا كثيراً من جبايتها .

وكان لسقوط الأمبراطورية الغربية فى أيدى الرعاع أثر كبير فى ضياع الأسواق التجارية من أيدى تجارها وصناعها أما (القسطنطينية) العاصمة الجديدة فقد اجتذبت كثيراً من تجار الشرق الأقصى .

وقد أضرت الحروب الطويلة بين الفرس والرومان التى استمرت طوال القرن السادس بتجار الشرق الأوسط ، كذلك كانت المحاولة التى قام بها الإمبراطور (جستنيان) لإعادة غزو الغرب ، محاولة عقيمة سببت له خسائر فادحة وكلفته ثمناً غاليا . وقد شعر كل من الشعبين الشامى والمصرى أنه ينفق أموالا كثيرة من إيراداته الضئيلة ليؤيد حكاما يهملون مصالحه ولا يهتمون إلا بإشباع رغباتهم ، وغير ذلك من المتاعب التى أحسوا بها فى هذه الأونة .

* * *

ان من العسير علينا أدراك مدى شعور الرجل والمرأة نحو الدين فى ذلك الوقت

وقد كان الشرق الأوسط دائماً مهداً للدين ومهبطا لوحى السماء ومسرحاً كبيراً لظهور الديانات السماوية ، كما كان الاغريق أساتذة الفلسفة .

ولما عرف ذلك ملوك الاغريق وأباطرة الرومان عمدوا إلى القضاء على التعصب الاقليمى بإدماج الآلهة المحليين فى مجموع الآلهة الاغريقية الرومانية . كما حاولوا أن يخلقوا جوا من الاتحاد الروحى فنصبوا أنفسهم آلهة وعملوا على إرغام الشعب على عبادتها .

ولكن كل هذه المحاولات كان نصيبها الفشل والخسران ، بل إن كثيراً من الأباطرة قد لقوا حتفهم بصورة لا تلائم موت الآلهة على الإطلاق — إن كانت الآلهة تموت — وبالرغم من كل المحاولات الكثيرة المختلفة الأساليب فإن الناس أعرضو عن هذا الابتكار وسخروا من هذا الاختراع فى مجال الدين . وبطبيعة الحال ماتت الآلهة المختلفة واضطر الناس أن يبحثوا لهم عن دين جديد .

ظهور المسيحية

فى هذا الوقت ظهر السيد المسيح يدعو إلى دين جديد هو الدين المسيحى ، الذى ظهر فائزاً منتصراً ، غير أن فوزه وانتصاره قد تحقق بصعوبة شديدة وببطء كبير ، فقد لقى المسيح وأتباعه كثيراً من العنت والاضطهاد من أباطرة الروم وحكامهم على الخصوص ، مدة لا تقل عن ثلاثة قرون ذاق فيها المسيحيون ألوانا مختلفة من العذاب حتى اضطروا أن يتركوا المدن إلى الصحارى فرارا من وجه هؤلاء الأباطرة العتاة الذين كانوا يريدون ألا يعبد فى الأرض التى يحكمونها غيرهم ، حتى ظهر الأمبراطور قسطنطين الذى اعتنق الديانة المسيحية بعد انقضاء ثلاثة قرون على موت السيد المسيح .

وباعتناق الأمبراطور قسطنطين المسيحية انتشرت تعاليم الكنيسة فى الدولة الرومانية جميعها ، بل وفى خارجها ، غير أن السلطات الحاكمة كانت تمقتها وتحاربها وتطارد معتنقيها أينما حلوا وأينما ساروا ، مما أدى إلى عدم وجود نظام فى إتباع شعائر الدين ، ولا وحدة فى الشرائع والقوانين التى جاء بها الدين المسيحى .

ونظراً لأن الدين الجديد لم يكن قد وضع له تعريف محدود المعالم ، فقد ظهر بعض الأفراد المنحرفين فى كثير من المناطق المتعددة ، ولـكننا لا نستطيع أن نتعهم بالإلحاد .

وظلت الدولة تناهض أتباع الدين الجديد ، حتى دخلت فيه الهيئة الحاكمة واتخذته دينا لها . وما دام الدين الجديد قد أصبح دينا رسميا للدولة ، فلا بد من وجود وحدة فى الدين ، وإلا عد اتخاذها له أمراً لا معنى له ، فمرت بالناس سلسلة طويلة مريرة من المحاولات التى قصد بها وضع تعريف للدين وقد بلغت هذه المحاولات أشد أدوارها فى المجالس الـكنيسية حيث قام القساوسة مجتمعين بمحاولة الوصول إلى اتفاق حول هذا التعريف المطلوب .

ولـكن كل هذه المحاولات باءت بالإخفاق أيضاً ، لأن عدداً من الأقاليم التابعة للدولة كانت لا تزال تحتفظ بمشاعرها الدينية الخاصة من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان بعضها الآخر ينكر على الحكومة المركزية أعمالها وتصرفاتها ، وقد وجد هذا الفريق فى الهرقطة والإلحاد فرصة يعبر بها عن كراهيته وسخطه ، وانتشرت فى ذلك الوقت المنازعات المذهبية التى كانت بمثابة شعار للفرقة وللقومية .

وقد قامت هذه المنازعات حول طبيعة السيد المسيح . فجماعة يغلبون الجانب البشرى على الجانب الإلهى فى ذاته عليه السلام . وجماعة أخرى يغلبون الجانب الإلهى على الجانب البشرى . وجماعة ثالثة يقولون بالطبيعتين ، وهـــذا هو المذهب الرسمى للحكومة .

وما أن اقترب القرن الخامس من نهايته حتى قام أهل الشام وأهل مصر يحاولون أن يزيحوا عن كاهلهم سلطة الأمبراطور الرومانى وخاصة سلطته المدنية .

أما الناحية الدينية فقد كانوا يتبعون فيها مذهبين رأيا فيهما تبسيطا لآداء الشعائر ، وهما المذهب القائل بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وأتباعه قليلون ، أما الأغلبية فقد كانوا يتبعون المذهب القائل بأن المسيح مشيئة واحدة وطبيعة واحدة وهى تغليب الجانب الإلهى على الجانب البشرى .

ومن قديم الزمن كان الساميون تحبون أن يكون دينهم على الدوام طابعه الجد والحزم ولـكن فى هوادة ولين .

* * *

ومنذ فجر التاريخ كانت صحراء العرب ترسل نورها الساطع إلى البقاع المجاورة لها وخاصة أراضى (الهلال الخصيب) ، وقد تأثر أهل مصر والشام بما ترسله لهم هذه الصحراء فأصبحوا من غلاة الساميين وخاصة أهل الشام المتاخمون لها .

كما استطاعت صحراء العرب هذه أن تحمل تلك الأقاليم التى تحف بها على تعلم لغتها العربية الآرامية منذ قرون بعيدة قبل الميلاد أو إدراك سهولتها على الأقل . وقد اندفع كثير من سكان الجزء الجنوبى من جزيرة العرب ، إلى الشمال بسبب الجدب الذى كان يصيب هذا الجزء ، وقد حدث هذا قبل ظهور (محمد) بزمن غير بعيد ، ولذلك نرى كثيراً من رجال قبائل بنى غسان الذين استوطنوا المناطق الملاصقة لحدود الامبراطورية الرومانية فى بلاد الشام ، قد اعتنقوا الديانة المسيحية ، وهذا من أوضح الأدلة على أن هؤلاء العرب دينيون بطبعهم لا يستطيعون أن يحيوا بغير عقيدة .

ولقد كان لنشاط حركة التجارة وزيادتها أثر فى اندماج السكان واتصالهم بعضهم ببعض ، فالتجار العرب الذين يخرجون من حضر موت ليذهبوا إلى فلسطين أو دمشق ، يمرون غالبا بمكة حيث الـكعبة التى يقدسها العرب ، وكذلك تجار المسيحيين واليهود الذين قدموا إلى الجزيرة العربية واستقروا فى الجزء الجنوبى من اليمن ، عرفوا الـكثير عن مكة وبيتها الحرام عند مرورهم بها .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول بأنه لم يكن هناك فاصل يميز بين سكان البدو وسكان الحضر فى الجنس والثقافة .

« للموضوع بقية »

معرفة الله

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

لا تكون الفضيلة فضيلة إلا إذا نبتت فى قلب له غاية سامية ومبادىء نبيلة لأنه بهذا يظهر أثرها وتؤتى أكلها . ولا خير فى فضيلة إلا إذا كان لها أثر تعرف به وتدرك وتحس ، وكل فضيلة لا أثر لها كانت كالذهب فى باطن الأرض لا ينتفع به . والفضائل دائما تدعو إلى سمو الغايات وكلما سمت الغايات كانت أدعى إلى تعشق الفضائل والسعى فى سبيل اكتسابها كما دلت على نبل صاحبها ونضوج فكره علو همته . وغايات الحياة كثيرة : منها المادى الذى لا يغرى العاقل ولا يجذب النابه ومنها المعنوى الذى يدل على نفسه بجمال جوهره وحسن مخبره وصدق معناه . وغاية الغايات فى هذه الدنيا « معرفة الله سبحانه وتعالى » فلا يصل إليها إلا كل مقدام أثبتت التجارب له صدق عزيمته ونقاء سريرته وقوة قريحته . لأنه أدرك أن الإنسان خلق فى الحياة لغاية نبيلة هى الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى عن طريق العبادات والطاعات والتحلى بمكارم الأخلاق . ولأجل سمو هذه الغاية جعل الله طريقها محفوفا بالمكاره . فلا يصل إليها الا من وفقه الله وهداه ، ولقد نبه الله سبحانه وتعالى على معرفته وحث على ارتياد الطريق إليها . وأنها هى المقصد الأسمى فى هذه الحياة الغاصة بالمشاغل والظواهر فقال « كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » أدرك هذه الغاية أفلاطون فأسس مدرسته عليها . وهى أول مدرسة نظامية بالمعنى المعروف وقال فى توضيح ذلك . الغرض من وجود الإنسان فى الحياة معرفة الله فيجب أن تسير التربية نحو هذا الهدف وكل تربية لا تهدف نحوه تربية ناقصة لا معنى لها : وتوصل بسبب ذلك إلى عالم المثل المعروف الذى طبقه وسار على نهجه كبار العلماء . ومن أجل هذه الغاية كانت أول عظة من لقمان لابنه تحمل هذا المعنى

« واذ قال لقمان لا بنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » فهذه العظة تحمل معنى توحيد الله وعظمته وتشير السبيل الى معرفته توضح بأسبقيتها مدى أهمية معرفة الله . وأنها الغاية المطلوبة فى هذه الحياة ومن أجل هذه الغاية تحمل موسى الأذى وخرج بقومه من مصر بعد أن ضاقت آمالهم ولم يستطيعوا أن يعبدوا الله فيها فيحققوا بذلك غايته التى خلقهم من أجلها وفرغ لهذه العبادة قلوبهم بأن كفاهم مئونة الرزق والاشتغال بجمعه فأنزل عليهم المن والسلوى . وجاء المسيح عليه السلام فلم يأل جهدا فى تحقيق هذه الغاية عن طريق المثل العليا التى وضعها أمام أتباعه ومريديه ، وقد كان المسيح فى ذاته وحده كافيا فى اثبات هذه الفكرة فى نفوس المريدين . ويظهر مدى ذلك فى وصيته حينما قال له رجل: « ياروح الله أوصنى فقال له : أن تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل تفكيرك » ولا حب لله من غير معرفة . وجاء بعد ذلك محمد صلى الله عليه وسلم فلم يخرج عن هذه الغاية وكشف لنا عن هذه الحقيقة الخالده بالوضوح نفسه الذى أخضع به عقول المعارضين والمشركين وبلور لنا هذه الفكره بمعانيها القدسية فى أمثلة عديدة تشعر الإنسان بأنه تافه حقير إذا لم يسع سعيا جديا فى سبيل معرفة الله وعبادته عبادة حقة جديرة بالرضا والقبول ويتضح لنا ذلك فى قوله تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » والعبادة فسرها على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالمعرفة وليس معنى ذلك أن يترك الإنسان الدنيا ويعتزل العالم ويعيش فى صومعة ولكن المطلوب أن يدرك عبادة الله فى سعيه ويراقبه فى سيره ويراه محيطا به أينما سار وحل . ويعرف الله بآثاره الدالة عليه الناطقة بفضله . يقول أحد العارفين :

وأينما وليت لم أر غيره محيطا فلم يدركه عبد هداه

ويقول سليمان الحكيم . توكل على الله بكل قوتك وعلى فهمك لا تعتمد فى فى كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبيلك . .

من ذلك نفهم أن الغاية التى أوجدنا من أجلها هى معرفته عن طريق الشرائع المختلفة أرسل بها رسله وأنبياءه التى أوجد فى كل معنى من معانى الحياة دليلا عليها وفى كل ذرة من ذرات الوجود شاهداً على وجوده فيها . وفى كل شىء له

آية . . تدل على أنه الواحد . ولكن أغفلتنا المظاهر عن أن نرى بدائع الحقائق ، وأذهلتنا الماديات عن أن ندرك سموالغايات . فكان حقيقاً أن يقول لنا ابن عطاء الله السكندرى . . اجتهادك فيما ضمن لك وتعضيدك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك » . وكان حقيقاً أن يعنينا الرسول صلى الله عليه وسلم يقوله . « ما بال أقوام يسعون فيما يدرك بغير سعى من القدر المقدور والأجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما يدرك الا بالسعى من الجزاء الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لاتبور » . وماكان أجدرنا بتدبر قول ابراهيم الخواص رضى الله عنه : « العلم كله فى كلمتين : لا تتكلف ما كفيت ، ولا تضيع ما استكفيت » .

وبعد : فهذا طريق رسمه الله لمن أراد أن يكون ذاهمة عالية وقلب كبير وفكر واسع جمع شم الفضائل ، ومن وضع نصب عينيه غاية كهذه لا يهمه وعورة المسلك أو بعد الشقة أو طول الطريق .

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

أخبار صوفية

قرارات لرجال الطرق بالإسكندرية

دعى السيد الأستاذ ابراهيم محمد حماد مخلوف وكيل المشيخة الصوفية العامة بمحافظة الإسكندرية وعضو مجلس الأمة إلى عقد اجتماع بمقر وكالة المشيخة ضم نواب الطرق الصوفية بمدينة الإسكندرية ولفيف من رجالاتها .

وافتتح السيد الوكيل الاجتماع بكلمة بدأها بالحديث الشريف « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » منوها بالدعوة الصوفية ورسالتها الدينية والوطنية ووجوب قيامها على أساس المنطق والتفاهم والإقناع والجهاد فى سبيل الهدايةلدين الله ونصرة كلمة (لا إله إلا الله) وقد اختتم الإجتماع بالقرارات التالية :

أولاً : إعادة مجالس الذكر بمسجد أبى العباس بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع على أن يكون كل نائب طريقة مسئولا عن مجلسه . وتكونت لجنة من السادة : الحاج محمد سالم نائب الضيفية والسيد ابراهيم بيومى نائب البرهامية والسيد على سعد رضوان والسيد محمد جلال الشافعى للإشراف على هذه المجالس .

ثانياً : العمل على اتباع التعليمات والقرارات والمبادىء الصوفية التى وردت بمجلة الإسلام والتصوف فى عددها الأخير وتنفيذها بكل دقة والتقيد بنصها وروحها .

ثالثاً : تهنئة سيادة الرئيس جمال عبد الناصر بالعودة بسلامة الله من القطر السودانى الشقيق وتأييده التأييد المطلق فى أعماله وتجديد مبايعة رجال الطرق لسيادته .

رابعاً : إرسال برقية تأييد للسيد الرئيس بمناسبة تأميم الأموال الباجيكية فى القطر الجنوبى واعتبار هذا العمل من الأعمال الوطنية المجيدة .

خامساً : اتخاذ الإجراءات اللازمة لنشر مجلة الإسلام والتصوف وضرورة تساند وتعاضد رجال الطرق الصوفية على اختلاف طرقهم ودرجاتهم فى توزيع المجلة وانتشارها

والانتفاع بها فى محيط المجتمع باعتبارها المعبرة عن الأسرة الصوفية والناشرة لرسالتها والمدعمة للدين الحنيف .

واختتم الاجتماع بالدعاء للسيد الرئيس بالنصر والتأييد .

تعيينات صوفيـة

اعتمدت المشيخة العامة التعيينات الآتية : —

- تعيين الشيخ على عبد الرحمن سراج المقيم بناحية مشطا فى وظيفة نائب لطريقة السادة الشناوية الأحمدية بمحافظة سوهاج .
- تعيين الحاج حسنين أحمد عرايس من أكوه الحصه فى وظيفة خليفة خلفاء السادة الأحمدية المرازقة ببندر ومركز كفر الزيات .
- تعيين الشيخ عبد الوهاب محمد ابراهيم فتوح القاضى المقيم بميت بره فى وظيفة نائب لطريقة السادة السعدية بمديرية القليوبية .
- تعيين الشيخ صادق محمد أحمد درغام المقيم بناحية منقوت مركز أبو قرقاص فى وظيفة خليفة السادة البرهامية بمركز أبو قرقاص .
- تعيين الحاج مبارك أحمد محمود الجمال خليفة خلفاء السادة البرهامية عن قسم الأربعين فى وظيفة نائب للطريقة المذكورة بمحافظة السويس .
- كما اعتمدت المشيخة إيقاف الشيخ محمد أحمد غريب الخليفة البرهامى بناحية قسم الرمل لخروجه على الآداب والتعاليم الصوفية .

وكيل المشيخة بمنطقة البحر الأحمر

- قرر سماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية تعيين السيد محمد أحمد محمود وكيلا للمشيخة العامة بمنطقة البحر الأحمر .

احتفالات الموالد

مولد القطب الرفاعى

١ — احتفل بالموكب الختامى لسيدى أحمد الرفاعى عصر الخميس الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٠ مبتدأ من ميدان مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه إلى مسجد صاحب الذكرى .

واشتركت فيه طوائف السادة الرفاعية من مختلف الجهات وكانوا يرتلون الصلوات على النبى ويتلون الأوراد والحزب الرفاعى وكان موكباً فخماً يحف به الجلال والوقار . وفى المساء احتفل بالليلة الختامية حيث مدت مآدب الطعام التى دعى إليها السفراء وكبار رجال العروبة والعلماء ورجال القانون والطرق الصوفية .

مولد الإمام الشعرانى

٢ — من المصادفات الحسنة لأبناء الطرق الصوفية ، أن احتفل بمولد الإمام الصوفى الكبير سيدى عبد الوهاب الشعرانى بمسجده الكائن بحى باب الشعرية — لأول مرة منذ خمسين عاماً . وقد تبارى أهل الحى ورجال الطرق الصوفية فى إحياء هذه المناسبة الإسلامية الكبيرة لما لهذا القطب من التقدير والتبجيل .

واحتفل بالليلة الختامية وموكبه الختامى يوم الجمعة الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٦٠

مولد العارف بالله سلامه الراضى

٣ — يحتفل الأستاذ السيد ابراهيم سلامه الراضى شيخ السادة الحامدية الشاذلية بمولد والده العارف بالله السيد سلامه الراضى . فى المدة ما بين ١٠ يناير سنة ١٩٦٠ إلى ١٩ منه حيث يحتفل بسير الموكب الصوفى الختامى من مسجد أبى العلا ببولاق إلى دار المشيخة الحامدية الشاذلية حيث تحيى الليلة الختامية لهذه المناسبة الجليلة .

مولد السيدة زينب

٤ — يحتفل بمولد حفيدة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه (السيدة زينب) رضى الله عنها اعتباراً من يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٠ لمدة ثمانية عشر يوماً وستكون الليلة الختامية يوم الثلاثاء ١٠ يناير ١٩٦١ الموافق ٢٣ رجب ١٣٨٠ هـ

مولد الإمام الشافعى

٥ — يحتفل بمولد الإمام الشافعى رضى الله عنه اعتباراً من ٢٧ رجب سنة ١٣٨٠ إلى ٥ شعبان سنة ١٣٨٠ .

مولد الدشطوتى

٦ — يحتفل بمولد « الأستاذ الدشطوتى » بمسجده الكائن بحى باب الشعرية اعتباراً من ٦ يناير ١٩٦١ لمدة ثمانية عشر يوماً .

مولد العارف بالله (عطية أبو الريش) بدمنهور

احتفلت محافظة البحيرة بمولد العارف بالله السيد عطية أبو الريش بدمنهور ، فأقيمت الزينات الجميلة ، وحلقات الذكر الشرعى ، وندوات الوعظ والإرشاد .

وقد زار الأستاذ وجيه أباظه محافظ البحيرة ساحة المولد ومسجد القطب المحتفل به موجهاً ومشجعاً .

كما شهد الاحتفال الأستاذ الشيخ ابراهيم أبو النصر مفتش عام المساجد .وفضيلة شيخ المعهد الدينى ووكيل المعهد والأستاذ السعدنى مفتش الوعظ ، والأستاذ عبد الحميد بديوى مساهمين بكلماتهم وإرشاداتهم .

واشترك أبناء الطرق الصوفية جميعاً فى إحياء ليال المولد المبارك وفى طليعتهم الأستاذ الخرائشى ، والأستاذ صابر عاشور .

كما ساهم بجهد مشكور السيد الشيخ عبد الجليل الزينى وكيل المشيخة العامة .

مولد القطب (السيد أحمد بن إدريس)

يحتفل الأستاذ السيد ميرغنى الادريسى شيخ الأدارسة بمولد جده العارف بالله السيد أحمد بن إدريس مؤسس الطريقة الادريسية الشاذلية فى العشر الأواخر من شهر رجب الحالى .

وقد سافر سيادته إلى الأقصر لإعداد برنامج الاحتفال الذى تشترك فيه مديريات قنا وأسوان . ويتبارى فيه فرسان الصعيد بعرض ألوان من تقاليد البطولة العربية وفنونها فى الطراد والفروسية .